بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

قلب المؤمن

تأليف

سامي التميمي

المقدمة

قد اهتمت الشريعة المقدسة اهتمام كبيرا ومن خلال الآيات والروايات بضرورة صيانة قلب المؤمن وحفظه من التلوث والقسوة ومن أدران الدنيا واوساخها ومن مساوئ الأخلاق فعن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال (حاربوا هذه القلوب فإنها سريعة العثار. (١)[١]

وأولت العناية الشديدة بضرورة مراقبة القلب وما يردّ عليه خشية نكوسه وقسوته وإماتته ، لان القلب يمرض ويقسو ويزداد تحجّرا كُلما توغل الفرد بالرذائل وانشغل بمتع الحياة ونيل اللذائذ الفانية وكان شغله الشاغل وهمه الأوحد هو النهم والاستيلاء على شهوات الدنيا قال تعالى(ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)(٢) فيصلّ القلبُ الى أتعس وأسفل دركات الدّس والطمس من التمرّض والتلوث بعالم الطبيعة بحيث يصل الى مرحلة ان المواعظ ونداءات الحق لا تجدي نفعا ولا تأتي أكُلها فيه.

ولخطورة هذه العاقبة والمآل وردَ التحذير والتذكير على لسان الآيات والروايات في ضرورة وقاية القلب من التلف والتمرّض قال تعالى (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا.(٣) وقوله تعالى(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ

---

(١)ميزان الحكمة ج ١ص ٤٥٣

(٢) النحل اية ١٠٨

(٣)الكهف اية ٢٨

الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (١) وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال : ألا وإن من البلاء الفاقة وأشد من الفاقة مرض البدن وأشد من مرض البدن مرض القلب.(٢) [٢]

ولأجل ان يبقى قلب المؤمن نورانيا مشرقا متألقا نلاحظ ان أهل البيت (عليهم السلام) ومن خلال ارشاداتهم وتوجيهاتهم المباركة قد وضعوا أساليب وطرقا عديدة منها الاسلوب الوقائي والأسلوب التطهيري وأسلوب الترقي والاستنارة لا بأس ان نشير إليها باختصار :

الأسلوب الوقائي: وهو اسلوب التحذير والتذكير والتنبيه من المفاسد والأضرار التي تُورث قساوة القلب وإطفاء نوره فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: الغناء ينبت النفاق في القلب. (٣)

وعن الإمام علي (عليه السلام): احتمل أخاك على ما فيه، ولا تكثر العتاب فإنه يورث الضغينة، واستعتب من رجوت عتباه.(٤)والضغينة من أمراض القلوب.

وعنه عليه السلام (إياك ومستهجن الكلام فإنه يوغر القلب. (٥) وعنه عليه السلام: حسن الظن راحة القلب و سلامة الدين .(٦)

---

(١) ال عمران اية ١٥٩
(٢)نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٦
(٣)وسائل الشيعة ج٨ ص ٤٦٥
(٤)تحف العقول ٢١
(٥)غرر الحكم ص ١٣
(٦)ميزان الحكمة الريشهري ج٢ ص ١٧٨٥

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة. (١).

اسلوب الجلاء والتطهير: وعندما يتعرض قلب المؤمن الى المرض والتلوث يأتي دور العلاج وإعطاء الوصفة الفاعلة لإزالة الأمراض كذكر الموت وتلاوة القرآن الكريم ومجالسة العلماء والصالحين وغير ذلك مما له دخل في جلاء القلب من الرين والغفلة فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل: يا رسول الله فما جلاؤها ؟ قال : قراءة القرآن وذكر الموت اقرؤا القرآن أو ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا . (٢) وعن الإمام علي (عليه السلام) ان الله سبحانه جعل الذكر جلاء القلوب تبصر به بعد العشوة وتسمع به بعد الوقرة وتنقاد به بعد المعاندة.(٣) وعنه :معاشرة ذوي الفضائل حياة القلوب.(٤) وعن المسيح عليه السلام: يا بني إسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثوا على الركب، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر .(٥).[٣]

الأسلوب الترقي والاستنارة: ثم يأتي أسلوب وعامل الترقي بقلب المؤمن الى أسمى درجات الكمال المعنوي فعن علي عليه السلام : الذكر يؤنس اللُبّ وينير القلب ويستنزل الرحمة . (٦)وعنه عليه السلام: البكاء من خشية الله ينير القلب ويعصم من معاودة الذنب (٧) وعنه عليه السلام عليك بذكر الله فإنه

---

(١)نفس المصدر السابق
(٢)نفس المصدر
(٣)غرر الحكم ص ١٢١.
(٤)ميزان الحكمة ج ٦ ص ٣٢٢
(٥)نفس المصدر
(٦)تحف العقول ٩٢
(٧)ميزان الحكمة ص ٣٢٠

نور القلب(١) (وعنه سلام الله عليه(استديموا الذكر فإنه ينير القلب وهو أفضل العبادة. (٢)وعنه (عليه السلام): إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عظما ازداد البياض، فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب كله.٤(٣)

ومن الواضح ان قلب الانسان فيه قابلية الانفعال والتفاعل مع الأفكار والنظريات المختلفة التي تُعرض عليه خلال مسيرة حياته، فإذا ما تغذى فكر الإنسان بالعقائد الحقّة وتحلّى بالآداب والأخلاق الصحيحة، تأثّر القلب تبعا لذلك الغذاء الفكري والروحي ، وبانت علامات التأثر على أعماله وأفعاله وأقواله ،ويصبح القلب حينها حريم الباري ومستودع لإسراره ومحل فيضه فعن الإمام الصادق (عليه السلام): القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله.(٤).

ويكون القلب مصداقا لحديث النبي صلى الله عليه واله في حق حارث الأنصاري(عبد نوّر اللهُ قلبه) ففي الكافي قال : استقبل رسول الله: حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك النعماني ؟ فقال : يا رسول الله مؤمن حقا، فقال له رسول الله: لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك ؟ فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي ، وأظمأت هواجري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي و قد وضع للحساب ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة وكأني أسمع عواء أهل النار في النار ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): عبد نور الله قلبه أبصرت فأثبت.(٥)

---

(١)نفس المصدر ص ٢٧٩
(٢)غرر الحكم
(٣)غرر الحكم ص ١٢١
(٤)ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٤٦
(٥)الكافي ج ٢ ص ٥٤

وفي البحار للمجلسي قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله): أين الله ؟ في الأرض أو في السماء ؟ قال : في قلوب عباده المؤمنين.(١) وفي الخبر: قال الله تعالى : لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع (٢) .

ومن المفيد ان نذكر أننا اذا أردنا المحافظة على نقاوة القلب وطهارته لابد ان يُرفد القلب بالمواعظ والعبر لان بركات المواعظ ونسيمها الفواح لها دور مميز وكبير في المحافظة على نقاوة قلب المؤمن، ومن وصية امير المؤمنين لابنه الامام الحسن سلام الله عليهما والهما انه قال : أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا فَإِنَّكَ تجدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ وَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَلاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ...الخ (٣)

ويتطلب ايضا الابتعاد عن الأجواء التي تُعّكر صفوة القلب او تطفئ نوره فمثلا من جالس الاخيار ونال قسطا وافرا من المعنويات الروحية حيث شعر الفرد بتألق الروح وانشراح الصدر وذاق حلاوة ذكر الله والصالحين ووقف على أعمالهم الطيبة فليس من الانصاف واللائق ان يبادر الى مجالسة اهل الباطل واللهو وما شابههم لان ذلك مدعاة لتبّخر تلك الأجواء الروحية من القلب ويحل محلها من الكدورات ما لا يخفى على اللبيب.

---

(١)البحار ج ٨ ص ٣١٢

(٢)نفس المصدر

(٣) نهج البلاغة ا ج ٣ ص ٢٨.

إذن: فالمؤمن لا يستغني عن المواعظ في حياته لصيانة قلبه من التلوث والغفلة ، فهي غذاء الروح والطاقة المستدامة وهي المنشطة للروح والبدن والباعثة نحو العمل الصالح .٦

وفي نفس الوقت ان المواعظ لها دور فعّال في هداية العباد ونيل المراد وإخراج الناس من الظلمات الى النور ومن الموت الى الحياة ومن قساوة القلوب الى طهارتها قال تعالى (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَ) . (١)

وأما من اعرض عن المواعظ الحقة فلا ضير قد اسدل على عقله وقلبه بغشاء حب الدنيا فلا تنفع المواعظ حينها مهما كان قائلها ولذا نجد ان أمير المؤمنين عليه السلام حينما وعظ ذلك العبد الصالح الذي يُدعى - همام - بذكر اوصاف المتقين فإذا بالرجل صعق مَيتاً لان ارضية قلبه كانت مؤهلة ومستعدة لتقبل المواعظ وقد اضاف امير المؤمنين سلام الله عليه كلمة في غاية الاهمية قال :(هكذا تفعل المواعظ البالغة بأهلها.(٢) فالمقتضي متوفر وهي المواعظ البالغة ولكن من الضروري ازالة الموانع من الكبر والانا و الإخلاد الى الأرض حتى تشرق الارض بنور ربها .

وبعد هذه المقدمة نقول ان الذي حدانا الى سبر هذا المخطوط الذي بين يديك لشعورنا بأهمية صيانة القلب من القساوة والغفلة واستدامة رفده ودعمه بالمواعظ والعبر حتى يتسنى للمؤمن ان يعيش حياة النور والحقيقة وإلا لا سامح الله اذا اصيب القلب بالأمراض المعنوية فلا محيص من الاعتراف

---

(١)الأنعام اية ١٢٢
(٢)نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٣

بإتلاف النفس وقتلها بيد صاحبها والله عز وجل يقول (وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا). (١)

واخيرا ان مسائل ما ينفع القلب وما يضره كثيرة وعديدة ولكن كما قيل ما لا يدرك كله لا يترك جلّه.[٧]

اللهم وفدنا على بابك ببضاعة مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا انك تجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ.

(١)النساء آية ٢٩

- المبحث الأول: حرمة القنوط واليأس
- المطلب الأول: القنوط واليأس
- المطلب الثاني: المقاييس الخاطئة
- المطلب الثالث: اليأس من رحمة اللّه
- المطلب الرابع: الرحمة الواسعة:
- المطلب الخامس: اليأس من تغيير البلاء
- المطلب السادس: اليأس عمّا في أيدي الناس

وفي هذا الباب عدة بحوث:

حرمة القنوط واليأس من رحمة الله:

اليأس والقنوط: بمعنى أن ييأس العبد ويقنط من رحمة الله تعالى في قبول توبته، وكفران ذنبه، والعفو عما سلف من عظيم جريرته ، وقبيح فعله ، فالاعتقاد بهذه الفكرة المهلكة وربط القلب عليها تُعد من الذنوب الكبيرة ، حيث ورد النهي من الشارع المقدس عنه والذم لمن تلبّس به قال تعالى (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ). (١)وعن النبي (صلى الله عليه وآله): يبعث اللّه المقنطين يوم القيامة مغلبة وجوههم، يعني غلبة السواد على البياض ، فيقال لهم: هؤلاء المقنطون من رحمة اللّه . ^(٢)

المطلب الأول: المقاييس الخاطئة:

في كثير من الأحيان يقيس الإنسان الأشياء حسب منظاره وعقله المحدودَين فيحكم بالجواز في مورد لا جواز فيه، وما به ترخيص يحكم بعدم الترخيص، حسب ما يحمل من مقاييس خاطئة وأفكار ضيقة .

فمن تلكم المقاييس الخاطئة التي وقع فيها جملة من الناس بالاشتباه أنهم حينما ينظرون الى كثرة ذنوبهم ومعاصيهم واسرافهم في الآثام خلال السنوات المتطاولة التي قضوها وهم يتلذذون بالموبقات والآثام فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا ارتكبوها، ولا باب معصية إلا وقد ولجوه، فيظنون ان توبتهم لا تقبل، وان ذنوبهم لا تغفر، وان مصيرهم الى الجحيم، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين ، فيّخيم عليهم اليأس والقنوط من رحمة الله الواسعة وينعدم عندهم الرجاء والأمل .

---

(١)الحجر الآية ٥٦

(٢)ميزان الحكمة ج ٨ ص ٣٥٦.

فهؤلاء معذّبون قبل ان يُعّذبوا ،وميّتون قبل ان يموتوا، قد وقعوا تحت تسويل ابليس الملعون، وآفة الجهل المركب، قد اطلقوا على انفسهم رصاصة الموت حينما اغلقوا على انفسهم ابواب الرحمة والرجاء .

المطلب الثاني: رحمة الله الواسعة:

ان من اعظم النعم والمنح الالهية المفاضة على عباده والتي يعجز المرء عن تحصيل شكرها وأداء حقها ان اللّه تعالى قد كتب على نفسه الرحمة قال اللّه (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ للّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ .(١) ٩

ومن تلك الرحمة انه تعالى وعد المسرفين في الذنوب والمعاصي ان يغفرها لهم جميعا فقال سبحانه : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).(٢)

بل زائد في العطاء والتفّضل بان يُبّدل سيئاتهم حسنات قال تعالى (إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (٣) وعن علي (عليه السلام): التوبة تطّهر القلوب وتغسل الذنوب.(٤).

فهذه رحمة اللّه الواسعة مشرعة أبوابها امام عباده لمن أراد ان يدخلها وينال من فيضها فلماذا يغلق المرء أبواب الرحمة على نفسه بسوء اختياره وسفالة عقله؟؟ فعن الامام علي (عليه السلام): لا تيأس لذنبك وباب التوبة مفتوح.(٥)

في عرفنا الاجتماعي: لو كان هناك حاكم شديد الأخذ والسطوة فيقوم أحد الجهلة بالتعدي والتجاوز على قوانينه وأحكامه غير عابئ بسطوته وجبروته

---

(١)الانعام اية ١٢
(٢)الزمر اية ٥٣
(٣)الفرقان اية ٧١
(٤)غرر الحكم ص ١٢٧
(٥)ميزان الحكمة ج ٨ ص ٣٥٦

فلا يترك جريمة إلا أتاها ولا جناية إلا ارتكبها معرضا نفسه الى العقوبة والمساءلة ، ولكن مع هذه الأفعال الشنيعة والأعمال القبيحة نرى الحاكم فاتحا بابه للعفو والتجاوز ويدعو الظالم والمتجاوز ان لا يحزن ولا يخاف فيوجد أمل لإسقاط الحق ! يوجد رجاء للعفو عن الإساءة! تفضلا منه ورحمة!! ولكن مع هذا العرض المغري الذي لا يرفضه ذو لب يعرض الجاني عنه!! محتجا ان توبتي لا تقبل وذنوبي لا تغفر لأنها كثيرة وشنيعة !!معرّضا نفسه الى الهلاك والتلف بسبب جهله برحمة الحاكم ورأفته برعيته ، فلا شك ان هذا التصرف الصادر من هذا الجاهل يكون عرضة لامتعاض الناس منه وإيقاع النفس في التهلكة.[10]

إذن: فرحمة اللّه لا تقاس بكثرة الذنوب ونوعها فرحمة اللّه اجّل وأعظم من ان تحدها الحدود كالذنوب والمعاصي فعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه واله : من تاب قبل موته بسنة قبل اللّه توبته ، ثم قال : إن السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر قبل اللّه توبته ، ثم قال : إن الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل اللّه توبته ، ثم قال : إن الجمعة لكثيرة من تاب قبل موته بيوم قبل اللّه توبته ، ثم قال: إن اليوم لكثير من تاب قبل أن يعاين قبل اللّه توبته . (١)

وفي مقطع من دعاء الامام علي بن الحسين(عليهما السلام) يتعرض الى السحرة فرعون وكيف ان اللّه تعالى قد انقذهم من وضعهم المأساوي من الكفر والشرك ومحاربة اللّه ورسوله فاقبلوا على اللّه تعالى ولم يسلطّوا اليأسَ والقنوطَ على قلوبهم قال: (يا مَنِ اسْتَنْقَذَ السَّحَرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الجُحُودِ ،

(١) مشكاة الانوار ص ٨٤.

وَقَدْ غَدَوْا فِي نِعْمَتِهِ يَأْكُلُونَ رِزْقَهُ ، وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ ، وَقَدْ حادُّوهُ وَنادُّوهُ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ.[1]وقال الله تعالى حاكيا عنهم (إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ).(١)

فالطمع في رحمة الله ومغفرته لم ينعدم من قلوبهم مع ما أتوه من الذنوب الكبيرة كما بيّنه الامامُ (عليه السلام) في دعائه وفي كتب البحار (وكان الزهري عاملا لبني امية فعاقب رجلا فمات الرجل في العقوبة فخرج هائما وتوحّش ودخل إلى غار ، فطال مقامه تسع سنين ، قال : وحج علي بن الحسين (عليه السلام) فأتاه الزهري فقال له علي بن الحسين (عليه السلام) : إني أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك ، فابعث بدية مسلمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك ، فقال له : فرّجت عني يا سيدي ! الله أعلم حيث يجعل رسالاته ورجع إلى بيته، ولزم علي بن الحسين، وكان يعد من أصحابه، ولذلك قال له بعض بني مروان: يا زهري ما فعل نبيك؟ يعني علي بن الحسين عليه السلام.(٢)

فالإمام (عليه السلام) يقول له: ان خوفي عليك من القنوط واليأس بدرجة ان ذنبك الذي تخافه والذي أوصلك الى ما انت عليه لا اخافه بقدر ما أخاف عليك من قنوطك من رحمة الله الواسعة . وعن امير المؤمنين عليه السلام : لا تؤيسنّ مذنبا فكم عاكف على ذنبه ختم له بالمغفرة و كم مقبل على عمل هو مفسد له ختم له في آخر عمره بالنار.(٣)

ان الاعراض عن رحمة الله وابقاء داء القنوط واليأس يدّب في النفس يطفئ نور القلب ويجعله كالصخرة الصّماء التي تصمّ عن السماع ، واذا تحّجر القلب

(١)الشعراء اية ٥١
(٢)البحار ج ٤٦ص ١٣٢
(٣)غرر الحكم ج ١ص ١٨١

وقسا صار وجوده كعدمه باعتبار ان القلب له وظائف عديدة فقسوته يعني اماتته ، طبعا هذا في حال الإعراض الكلي عن العودة الى الله تعالى وإلا في حال التوبة ينتعش القلب من جديد كالأرض الهامدة عند نزول الغيث تنتعش بالحياة قال تعالى (وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (١) وقال سبحانه (اوَ من كان مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَ) (٢) وعن علي (عليه السلام):التوبة تطهر القلوب وتغسل الذنوب .[١٢] (٣)

المطلب الثالث اليأس من تغيير البلاء:

توجد مسالة مهمة تندرج تحت عنوان اليأس ومن مصاديقها الموجودة والسارية عند بعض الناس هي الظروف والأوضاع الصعبة التي يعيشها كثير من الناس كالفقر المحدق وانعدام الأمان والأمراض وغيرها.

ان وجود هذه الظروف الصعبة وخاصة مع بقائها ردحا من الزمن تولّد حالة من القنوط واليأس في قلوب جملة من الناس بسبب عدم تغيّرها وكأن لسانهم الحالي والمقالي يقول: بان بلائهم لا فرج له، وان عسرهم لا يسر معه، وان دائهم لا دواء له، كما كان حال قوم موسى عليه السلام عندما شكَوا له بلائهم قال تعالى حاكيا عنهم (قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ.(٤)

ان هذا الحال يكشف عن أمر مستبطن وهو عدم الرضا بالبلاء وبالحكمة الالهية القاضية بالاختبار والتمحيص قال تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ

---

(١)الحج اية ٥
(٢)الانعام اية ١٢٢
(٣)ميزان الحكمة ج ١ ص ٣٣١
(٤)الاعراف اية ١٢٩

وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (١) .

ومن جهة اخرى يكشف ان القنوط واليأس يدب في قلوب هؤلاء من حيث يشعرون او لا يشعرون !!(٣)

ان وجود الفقر والمرض لا يعني انعدام المصلحة فما أكثر ما يسعى الإنسان لأجله ويتمنى حيازته وتحصيله ولكن لو ناله لكان فيه العطب والهلاك قال تعالى (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ).(٢)

وفي وصية امير المؤمنين لابنه الامام الحسن (عليهما السلام) (... فَلاَ يُقْنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ اجَابَتِهِ فَإِنَّ اَلْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ اَلنِّيَّةِ وَرُبمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ اَلإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لأَجْرِ اَلسَّائِلِ وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ اَلآمِلِ وَرُبمَا سَأَلْتَ اَلشَّيْ ءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ فَالمَالُ لاَ يَبْقَى لَكَ وَلاَ تَبْقَى لَهُ(٣)

ثم ان التجربة قد اثبتت ان كثيرا من الناس في حال غناهم وترفهم يزيغون عن الصراط، ويطغون في البلاد، ويكثرون فيها الفساد قال تعالى (الَّذِينَ طَغَوْا فِي

---

(١)البقرة اية ٢١٤
(٢)البقرة اية ٢١٦
(٣)نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٤

الْبِلادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ.(١) وقال سبحانه (كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦)أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى (٢) ١٤

وناهيك عن الامراض الاخرى التي يُصاب بها كثيرٌ من الناس في غناهم كالكبر والزهو والعجب فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء رجل موسر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نقي الثوب فجلس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى جنب الموسر فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أخفت أن يمسك من فقره شئ ؟ قال : لا ،قال : فخفت أن يصيبه من غناك شئ ؟ قال : لا، قال : فخفت أن يوسخ ثيابك ؟ قال: لا ؟ قال: فما حملك على ما صنعت ؟ فقال: يا رسول الله إن لي قرينا يزين لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن، وقد جعلت له نصف مالي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) للمعسر: أتقبل ؟ قال: لا، فقال له الرجل :لِمَ ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك.(٣)

فإن اليأس والقنوط الذي يعشش في القلب لا يتوافق مع إيمان المؤمن ، فالإيمان شعلة مضيئة تبغي ان تطغى على كل ساحة قلب المؤمن فلا تدع حيزا ومنفذا لهذا الداء وغيره الا ولحه واناره.

فنور الإيمان يدعو الى الثقة بالله وحسن الظن به والصبر على مكاره البلاء وانه تعالى يُبدل الخوف أمنا والضيق فرجا، والمرض عافية والفقر غناً.. قال سبحانه (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) .(٤)

---

(١)الفجر آية ١١

(٢) العلق اية٦

(٣)حلية الابرار ج ١ ص ٢٥٧

(٤)الانشراح اية ٥

وعن الإمام الرضا (عليه السلام): إنما يجئ الفرج على اليأس).(١)

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند اللّه منها مخرج * كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج.[١٥]

وان خيره تعالى مبسوط وكرمه مغدق على عباده قبل ان يتوجهوا اليه بالسؤال ومن روائع المقاطع المعرفية لأدعية الامام الحسين(عليه السلام): وأَنْتَ الْبادئ بالإحسان قَبْلَ تَوَجُّهِ الْعابِدينَ وَاَنْتَ الجَوادُ بِالْعَطآءِ قَبْلَ طَلَبِ الطّالِبين).(٢)

وان باب فضله مفتوح لمن طرقه قال تعالى (وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا .(٣)

ودعوة المضطر مستجابة قال سبحانه(أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (٤) وفي الزيارة (وأصواتَ الدَّاعين إليك صاعدةٌ وأبواب الإجابة لهُم مُفتَّحةٌ ودعوةَ من ناجاكَ مُستجابةٌ).

فهذه الشواهد والدلائل تُبّين بوضوح ان كرم الباري يتجلى على عباده في كل آن ومكان وأن المصائب والشدائد والإعسار مهما كانت مستحكمة وظن صاحبها لا تفرج، فلا بد ان تأتي ساعة الفرج ويتنفس الصعداء.

إذن: لا داعي ان يعشش القنوط في القلب فينعدم الرجاء والأمل باللّه تعالى، وأن تعليل الشخص بان الظروف صعبة لا تتبدل ولا تتغير فهو تعليل لا يصمد امام الشواهد والدلائل التي ذكرناها آنفا.

---

(١)ميزان الحكمة ج ١ ص ١٨٠
(٢)مفاتيح الجنان
(٣) النساء اية ٣٢
(٤)النمل اية ٦٢

وان ابقاء القلب مريضا بداء القنوط لا يقضي إلا على صاحبه قال تعالى (مَن كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) .(١)

المطلب الخامس: اليأس عمّا في أيدي الناس

في هذا البحث يُعدّ اليأس من الفضائل والمكرمات لا من الرذائل والمحقرات وهو: ان يزهد المؤمن عمّا في ايدي الناس ويقطع دابر الأطماع فيما عندهم وان سعيه خلف متاع الدنيا وزهرتها وابتغاء ما عند الناس ينافي روح المؤمن الشامخة فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): من نظر إلى ما في أيدي الناس، طال حزنه ودام أسفه. (٢) وعن الامام السجاد (عليه السّلام): رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي النّاس)(٣).١٦

وان السعي وراء الأطماع والعكوف على اعتاب الناس بغية اقتناص ما في ايديهم يخالف إخلاص المؤمن بضرورة انحسار الطلب والتوجه الى الباري عز وجل في نيل الحوائج والمقاصد وكشف البلايا والنوائب قال علي عليه السلام :(أول الإخلاص اليأس مما في أيدي الناس).(٤)

وهنا ينبغي ذكر مسالة جدّ مهمة وهي: ان العلقة والتواصل والمواساة والزيارات.. مع الآخرين يجب ان تكون بعيدة كل البعد عن المصالح والمنافع والمطامع الدنيوية فهذه الاغراض والنوايا تصطدم مع روح الاخلاص والايمان قال سبحانه (وتواصوا بالحق) (٥).

---

(١)الحج اية ١٥.
(٢)ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٤٧
(٣)نفس المصدر
(٤)نفس المصدر
(٥)العصر اية ٣

فتحرك العبد لغرض الاطماع يكون خارج عن دائرة الحق فبعض الناس يعلم نواياه ودوافعه التي تدفعه نحو الحركة والانبعاث لتشكيل العلاقات وإيجاد الروابط مع الآخرين فقد تكون للّه سبحانه وقد لا تكون !! ولكن البعض يحتاج الى الغور الى بواطن النفس وغربلة كوامنها الخامدة تحت الرماد لمعرفة تواصيه مع الآخرين هل هي توافق الحق أم تخالفه؟ هل علاقته مع من حوله هل تصّب في مصلحة الاخرة ام في مصلحة الدنيا؟.

ومن خلال عملية التشخيص لكوامن النفس وغربلة مقاصدها سيقف الفرد على حقائق عجيبة ومسائل وقضايا مؤلمة قد بذل الجهد الكبير لأجلها لكنها كانت مشوبة بالمطامع والمنافع الدنيوية.

ومن المؤسف ان اقول: ان هذا المرض الخطير مستفحل بدرجة كبيرة في مجتمعنا الاسلامي بحيث انك ترى المصالح والمنافع الدنيوية هي وقود التواصل والعلاقة وان حاجة المحتاج وهي من أشرف الأعمال وأحبها الى اللّه تعالى لا تُقضى الا بدفع ضريبة دنيوية إزاءها، نعم هذا هو واقعنا المرير.

اذن: فان تكرمة الانسان نفسه أمر دعت إليها الفطرة الإنسانية والأخلاقية والشرائع السماوية وان كل مسلك وطريق يكون سببا في إيقاع النفس في الذلة والإهانة يجب تركه وان درّت عليه متع الحياة فما أكثر الذين يتوسلون بالوسائل الوضيعة والدنيئة طلبا لأطماع النفس ورغباتها الحيوانية فلا يكترثون بكرامتهم وعزتهم فيرضون بالتصغير والتحقير طمعا بمتع الدنيا.

فالحري بالمؤمن ان يتعالى عن ارضاخ نفسه لهذا وذاك قاصدا ما عنده، وان يتحلى بعلو الهمة وعزة النفس والغنى والقناعة فتعلق القلب عما في أيدي الناس يجعله مذهولا ومشغولا عن قبلته ومقصوده الحقيقي وهو اللّه نعالى.

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : واعلم أن شرف الرجل قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس)(١). وعن الإمام الصادق (عليه السلام): اليأس مما في أيديالناس عز للمؤمن في دينه .(٢).[١٧]

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: أوحى الله عز وجل إلى بعض أنبيائه في بعض وحيه إليه: وعزتي وجلالي لأقطعن أمل كل مؤمل غيري بالإياس ولأكسونه ثوب المذلة في النار ولابعدنه من فرجي وفضلي، أيؤمل عبدي في الشدائد غيري والشدائد بيدي؟ أو يرجو سواي وأنا الغني الجواد، بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة، وبابي مفتوح لمن دعاني ! ألم يعلم أنه ما أوهنته نائبة لم يملك كشفها عنه غيري ! فما لي أراه بأمله معرضا عني ، قد أعطيته بجودي وكرمي مالم يسألني فأعرض عني ولم يسألني ، وسأل في نائبته غيري وأنا الله أبتدئ بالعطية قبل المسألة ، أفُسال فلا أُجيب ؟ ! كلا، أو ليس الجود والكرم لي ؟ أوليس الدنيا والآخرة بيدي؟ فلو أن أهل سبع سماوات وأرضين سألوني جميعا فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح بعوضة، وكيف ينقص ملك أنا قيمه، فيا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني.(٣)

---

(١)ميزان الحكمة ج ٢ص ١٤٣٣
(٢)نفس المصدر
(٣)ميزان الحكمة ج ١١ ص ٣٥١

- المبحث الثاني: التوبة
- المطلب الأول: التوبة من اللّٰه
- المطلب الثاني: نسيم التوبة
- المطلب الثالث: متعلقات التوبة

مبحث التوبة

ان التّوبة كالماء الذي ينزل من السماء على الارض الميتة فيكسوها بالحياة بعد الممات وكذا القلب التائب بعد ان هيّأ أرضية قلبه –من خلال الندم والتوبة والاستغفار – بأن تكون خصبة صالحة لتطهير والتزكية ما ان تنهمر على قلبه سحائب الرحمة ومفاتيح الرأفة فتحيّ القلب بالحياة بعد الممات والنور بعد الظلمات واليقظة بعد الغفلة والسبات.[18]

فالقرآن الكريم يِعدّ الغارق في مستنقع الذنوب والكنود انه ميّتُ الأحياء وأنه في ظلمات ليس بخارج منها إلا بالأوبة والنزوع عن الحوبة قال تعالى (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ.(١)

فالتوبة هي رجوع العبد العاصي الى دوحة الرحمة والعفو والغفران مما فرّط في جنب ربه من الذنوب والعصيان.

وأن فتح باب التوبة من الله تعالى أمام عباده العاصين وقبولها لهي من اعظم النعم والمنح النازلة من فيض رحمته الواسعة على عباده التائبين، عن الإمام علي (عليه السلام): من تاب تاب الله عليه وأمرت جوارحه أن تستر عليه، وبقاع الأرض أن تكتم عليه، وأنسيت الحفظة ما كانت تكتب عليه.(٢) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) وقد سمعه معاوية بن وهب يقول: إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحا أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة. قلت: وكيف يستر عليه ؟ قال : ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب ..فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب.(٣)

---

(١)الانعام ١٢٢
(٢)ميزان الحكمة ج ١ ٣٣٩
(٣)نفس المصدر

ولابد ان يُعرف ان توبة العاصي راجعة خيرها ونفعها على التائب اما ساحة الكبرياء فهي منزهة عن حاجة أوبة من اناب ، ففتح باب التوبة لعباده وقبولها منهم تفضلا منه وكرما من غير احتياج لطاعة المطيع ولا لتكثير سوادهم لأنه لا يضره جحود الجاحد ولا فسق الفاسق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ،ولكنه تعالى قضى على نفسه الرحمة وانه لا يرضى لعباده الكفر والعصيان (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ للهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (١) وقال (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ)[١٩](٢)

المطلب الأول: التوبة من الله

ان اخطر ما يهدد المرء هو جهله، فالجهل عدو الإنسان كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين سلام الله عليه بقوله (صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله.(٣)

فالجهل سلاح يضرب فكر وإيديولوجيا عقل الانسان فيعتقد بفكرة ونظرية ضالة خاطئة عن معارف التوحيد وروح الاسلام الاصيل فيتعايش ويتجانس معها ردحا طويلا ولعله يهلك عليها فتورده الى الهلاك الذي لا انقضاء له.

ومن هذه المسائل والقضايا الخاطئة ان جملة من العاصين يعتقدون انه ما دامت التوبة شارعة أبوابها على مصراعيها وان الله تعالى يقبل توبة من اناب اليه، فلِمَ العجلة فيها؟ فيغترون بحلم الله وستره ويبقون منتهكين لحرمته ومتعدين لحدوده سادرين في غيهم.

ان هذا اللون من التفكير يدل على الجهل القابع في اذهان هؤلاء ويمكن ان نرد على هذا الفهم الخاطئ بعدة نقاط:

---

(١)الانعام اية ١٢

(٢)الزمر اية ٧.

(٣)غرر الحكم ج ١ ص ٩

النقطة **الاولى**: من المفيد ان يُعلم ان الموت موتر قوسه لا تخطئ سهامه وكم أخذ على حين غرة وغفلة لاهيا ومفرّطا وساخرا ولم يدع للتوبة ان تنالهم قال سبحانه (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ... أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ.(١) .

اخي في الله: هذه الحسرة والندم يمكنك تجنبها ما دمت في دار الدنيا وذلك بالإقلاع عن المعاصي والذنوب والرجوع الى ساحة الكبرياء والندم على ما فرّطت في جنب الله.

فان هذه الحسرة لها الاثر الكبير في تغيير الملف المثقل بالذنوب الذي سوف يُعرض ويُوضع أمام الفرد ويراه يوم القيامة وُيقال له (اقرأ كتابك)!.٢٠

فإلى متى هذه الغفلة والتغافل والتسويف والجرأة على حدود الله ؟ وهل اخذ العاصون ضمانا من الموت بان يمهلهم حتى يتوبوا؟ ام هناك فرصة اخرى يمكن تعويضها عن الأولى؟ ألا آن الاوان ان نقول للنفس كفى هتكا لحرمات الله؟ الا آن الاوان ان نقول للنفس استحي من خالقك الذي أوجدك من العدم وأسبغ عليك النعم؟ وهل يستحق هذا الإله المنعم المفضل ان يُعصى ويُغفل؟ وهل يوجد عاقل سوّي ان يؤثر حياة زائل مليئة بالنكبات والمنغصات على حياة باقية تنعدم فيها الآلام والكدورات؟ مع انه سبحانه أسبغ على الإنسان النعم تلوى النعم وآتاه من كل ما سأل قال سبحانه (وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٢) وعن علي (عليه السلام): لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ألا يعصى شكرا لنعمه (٣).

(١)ابراهيم اية ٣٤
(٢)النحل اية ١٨
(٣)نهج البلاغة ج ٤

النقطة الثانية: ان الإخلاد الى الدنيا والانكباب على المعاصي وهتك الحرمات والغفلة عن الاخرة تجعل القلب كالصخرة الصوان في قسوتها، حتى ان التفكير بمسالة التوبة وجبر ما قد كُسر وإصلاح ما قد فُسد لا يساور فكر وعقل كثير من العصاة لأن نور الفطرة أُطفئَ بالعصيان والطغيان حتى أصبح القلب كقطع ليل مظلم فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يغلب خيره شره قبّل الشيطان بين عينيه وقال: هذا وجه لا يفلح.(١) [٢١]

وان التمادي بالذنوب والمعاصي يجعل المرء ان لا يتأثر بالمواعظ والعبر والنصائح، بل تقوم النفس بتبرير أفعالها وأعمالها السيئة وتوجِد لها المعاذير لإقناعها واسكاتها.

بل الانكى من ذلك ان النفس القابعة في وحل المعاصي والتيه تصل الى مرحلة ان من سعى في ردّها عن غيّها وتماديها بالوعظ والإرشاد يواجه بما لا يرضى من القول والفعل ، ومن الشواهد القرآنية في المقام ان نبي الله شعيب يعظ قومه لنجاتهم وتحريرهم من الاغلال ولكن قومه يهددونه بالرجم (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٢) .

وموقف اخر ان الامام الحسين (عليه السلام) لمّا كان اليوم العاشر من المحرم أخذ يوعظ القوم الذين جاءوا لقتاله فلم يكترثوا بقوله ثم بعد بُرهة تقدّم عمر بن سعد : أخذ سهماً ووضعه في كبد القوس وقال : اشهدوا لي عند الأمير فأنا أول من رمى الحسين ، فأقبلت السهام من القوم كأنها شآبيب المطر ،

(١)مشكاة الانوار ص ٢٩٥

(٢)هود اية ٩١

فقال الحسين لأصحابه قُومُوا رَحِمَكُمُ اللّهُ اِلَى المَوْتِ الَّذي لابُدَّ مِنْهُ ، فَاِنَّ هذهِ السَّهامَ رُسُلُ الْقَوْمِ اِلَيْكُمْ)(١) .٢٢

النقطة الثالثة: ان التوبة هي توفيق وتسديد من الله تعالى بحق عبده العاصي، فالعبد العاصي اذا حُرم من التوفيق لن يوفق لها ومن الشواهد القرآنية على هذه المسالة قوله تعالى (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (٢).

والثلاثة الذين تخلّفوا عن المسلمين في سوح القتال لمحاربة المشركين (وهم كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن أمية) ومحل الشاهد ان الآية تقول: ان الله تعالى قد سددهم ووفقهم للتوبة لكي يتوبوا اليه (ثمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

اذن: فالتوفيق للتوبة التي تنال العاصي هو منه وعليه سبحانه، وما دام العاصي لا يعلم هل سيُوّفق للتوبة او لا؟ هل ستمد له يد العون والتسديد الالهي او لا؟ فالجهل بالتوفيق متحقق فالحذر لازم، بوجوب التوبة.

فعلى الكيس العاقل ان لا يُسّوف التوبة فيبقى في لهوه وجهله متماديا في الآثام خوفا من حرمان التوفيق فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا بن مسعود لا تقدم الذنب ولا تؤخر التوبة، ولكن قدم التوبة وأخر الذنب : فإن الله تعالى يقول في كتابه (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه).(٣)وعن علي (عليه السلام): مسّوف نفسه بالتوبة، من هجوم الأجل على أعظم الخطر. (٤)

---

(١)فاجعة الطف ص ١٢
(٢)التوبة اية ١١٨
(٣)ميزان الحكمة ج ١ ص ٣٣٧
(٤)نفس المصدر

المطلب الثاني: نسيم التوبة

ان يشعر التائب بالندم على ما جنته يداه من المعاصي وهذا الشعور هو أول مقدمات التوبة وهو إحساس القلب بالأسى والحزن على ما فرّط في جنب اللّه تعالى ثم ينحني متذللا خجلا مستغفرا طالبا من العلي الأعلى كفران الذنوب وستر العيوب، مع العزم والاضمار ان لا يعود الى سالف ما مضى قال علي عليه السلام : التوبة ندم بالقلب واستغفار باللسان و ترك بالجوارح و إضمار أن لا يعود .(١) [٢٣]

حينها تنزل الرحمة على قلب العبد التائب ويطهر ويُنقى القلب من الأدران والأوساخ والمتعلقات ويكرم بالمحبة الالهية ويلج في زمرة المحبوبين عند اللّه قال سبحانه (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ .(٢)

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): إن اللّه تعالى أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فاللّه أشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها .(٣) وعنه (عليه السلام) في قوله تعالى: (فأولئك يبدل اللّه سيئاتهم حسنات) *: هذه فيكم ، إنه يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بين يدي اللّه عز وجل ، فيكون هو الذي يلي حسابه... حتى يوقفه على سيئاته كلها ، كل ذلك يقول أعرف ، فيقول سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم ، أبدلوها لعبدي حسنات ، قال : فترفع صحيفته للناس فيقولون : سبحان اللّه ، أما كانت لهذا العبد سيئة واحدة ؟ ! (٤)وعن الإمام الصادق (عليه السلام): أوحى اللّه عز وجل إلى داود النبي على نبينا

---

(١)نفس المصدر السابق
(٢)البقرة اية ٢٢٢
(٣)وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٦٢
(٤)ميزان الحكمة ج ١ ص ٣٤٠

وآله وعليه السلام : يا داود ، إن عبدي المؤمن إذا أذنب ذنبا ثم رجع وتاب ذلك الذنب واستحيى مني عند ذكره غفرت له، وأنسيته الحفظة وأبدلته الحسنة ، ولا ابالي وأنا أرحم الراحمين.(١) ٢٤

وبعد ازالة الاغلال والقيود التي اثقلت كاهل العبد وكانت تغل جناحيه نحو العروج الروحي، وتقيّد يديه عن المسير والحركة (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ).(٢)

تبدأ الروح بتنفس الصعداء فتأخذ بالترقي والتكامل الى عالم الملكوت والمعنى بعدما كُبّلت بالعالم الطبيعة الخداعة (يأيتها النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي .(٣)

المطلب الثالث: متعلقات التوبة

تبقى هناك جملة من المتعلقات في ذمة العبد لا مناص من الإتيان بها ان كانت مستقرة في ذمته : كالواجبات والحقوق الشرعية فيجب قضاء ما فات من الصلاة والصوم والحج ان استقر في ذمته ودفع الحقوق الشرعية وإرجاع حقوق الناس ان كان لهم في ذمته او الاستبراء منهم لإسقاطها ، وطلب العفو ممن ظلمهم والاستغفار لهم ، والأولى في الجميع الرجوع الى الفقيه لمعرفة ما يجب عليه وما يجب فعله.

روي عن الامام علي (عليه السلام): إن للاستغفار درجة العليين ، وهو اسم واقع على ستة معان : أولها الندم على ما مضى ، والثاني العزم على ترك العود إليه أبدا ، والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم... والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها ، والخامس أن تعمد إلى اللحم

(١)نفس المصدر السابق
(٢)الاعراف اية ١٥٧
(٣)الفجر آية ٣٠

الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد ، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول : أستغفر الله . (١) [٢٥]

(١)نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٩

- المبحث الثالث: مرض النفاق
- المطلب الأول: ما هي دوافع النفاق؟
- المطلب الثاني: الحذر من مرض النفاق

مرض النِّفاق

النفاق: هو ان يظهر الانسان شيئا حسنا من عمل او فعل او قول بخلاف ما يضمره في باطنه فالمنافق له حالتان حالة ظاهرية توافقية مع الناس وحالة باطنية تغاير ظاهريته، وقد اشار امير المؤمنين عليه السلام الى هذا المعنى بقوله (ما أقبح بالإنسان ظاهرا موافقا و باطنا منافقا) (١)[٢٦]

وهذه الازدواجية في التعامل ناشئة من دواعي كثيرة في نفس المنافق سيأتي الحديث عنها لاحقا ان شاء الله تعالى.

والنفاق تارة يكون في العقيدة كأن يظهر المنافق الإيمان بأصول الدين كالتوحيد والمعاد والنبوة ويظهر التزامه بفروع الدين كالصلاة والصوم ولكنه باطنه يخادع الله ورسوله والناس وما يخادع إلا نفسه قال تعالى (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ. (٢) وقوله تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا (١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَينَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ)(٣) وقوله تعالى (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلا وَهُمْ كَارِهُونَ.)(٤).

وأخرى يكون النفاق في الاخلاق فيظهر للناس الصلاح والتزامه بمكارم الأخلاق لكن باطنه الفساد والعمل بمساوئ الأخلاق ومن امثلة ذلك ان يظهر المنافق المودة والمحبة للآخر ويستبطن البغض والكراهية او ان يظهر الاجلال

---

(١)ميزان الحكمة ص ٤٤٥.
(٢)المنافقون اية ٥
(٣)النساء اية **١٤٣**
(٤)التوبة اية ٥٤

والاحترام للأخر عند حضوره ولكن ما ان يغيب عن ناظريه حتى يقوم بأكل لحمه بما لا يرضى من القول ولذا امير المؤمنين عليه السلام يقول: الغيبة آية المنافق .(١) [٢٧]

ومن المعلوم ان النفاق من أعظم الذنوب قبحا وجرما في الشريعة المقدسة لوجود الازدواجية في العقيدة والأخلاق والتعامل والتعايش مع نوعه حيث يتخّفى المنافق بقناع مزيف يضعه على شخصيته الظاهرية ليخدع الناس.

وان هذا السلوك والأسلوب الثنائي حيث يكون المرء ذا لسانين وشخصيتين مزدوجتين يعد من اقبح الرذائل الاخلاقية ومخالفا للفطرة السليمة، وتنفر منه الطبائع البشرية فعن الإمام الكاظم (عليه السلام) في وصيته لهشام: يا هشام ! بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه إذا شاهده، ويأكله إذا غاب عنه ، إن اعطي حسده ، وإن ابتلي خذله . (٢)

المطلب الأول: ما هي دوافع النفاق ؟

حينما يفقد المرء نور الإيمان لكون الدنيا صيّرها معبودةً وصنماً تُعبد من دون اللّه فحينئذ لا مقصد له إلا إشباع الغرائز ونيل المنُى حتى يعلو الصدأ والرين على القلب فيمرض ويقسو ويطفئ نوره ، وعندئذ لا يرى المرء حرجا وضيقا في الوصول والحصول على مقصده ومطلبه بأي طريق وسبيل ولو كان مخالفا للشريعة الاسلامية والفطرة الإنسانية.

---

(١)غرر الحكم ج ١ ص ١٤٣

(٢)ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٤٤٥.

ان المبتلى بمرض تعاطي المخدرات عند استحكام هذا الداء الوبيل على صاحبه فان الكثير من هؤلاء يضحّي بالغالي والنفيس ويفعل المنكر والقبيح من أجل الحصول على العقاقير المخدرة.

فالإنسان حينما يصاب بخدر الدنيا وينخدع بزينتها وجمالها الكاذب يسعى لابتغاء مطلوبه بشتى الوسائل ولو ارتكب أقبح الرذائل الأخلاقية والإنسانية كرذيلة النفاق.[٢٨]

فاذن: من أهم الدوافع والموجبات التي تسبب في إيجاد مرض النفاق في القلب هو حب الدنيا والإعراض عن الاخرة.

ولأجل ان تنال الاطماع الدنيوية يتخذ كل منافق اسلوبه وطريقته في النفاق فتجد زمرة منهم يتخذون الدين سلمّاً للوصول الى غايتهم فيتظاهرون بالتدين والتنسك والالتزام والكلام الطيب وهم بعيدون كل البعد عن ذلك فعن امير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: إني أخاف عليكم كل عليم اللسان منافق الجنان يقول ما تعلمون ويفعل ما تنكرون .(١) .

ومنهم يتظاهرون بالأخلاق الحميدة فيتخذونها طريقا ومسلكا لنيل مآربهم فيتصنّعون بالكلام والمجاملة بألسنتهم المعسولة ويكثرون التملق ويتظاهرون بالمسكنة والتذلل وغير ذلك من الأساليب الشيطانية طمعا في المصالح والمنافع الدنيوية قال تعالى حاكيا عنهم (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٢) وعن امير المؤمنين السلام عليه : المنافق وقح غبي متملق شقي.(٣) وعنه عليه السلام

(١)غرر الحكم ج ١ ص ٣١٢
(٢)المنافقون اية ١
(٣)غرر الحكم ج ١ ص٣١٢

لسانه كالشهد ولكن قلبه سجن للحقد. نفس المصدر) وعنه عليه السلام : في وصف المنافقين (هم لمة الشيطان وحمة النيران أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون .[٢٩](١)

ان هذا التباين والتناقض في الظاهر والباطن في شخصية المنافق هو من أخطر ما يكون على الإسلام والمجتمع وعلى العلاقات الفردية والاجتماعية فضرر المنافق على الاسلام و المسلمين كضرر الجرثومة التي تلج في الأطعمة فتلوثها وتفسدها .

ولذا نجد الشريعة تحذر المسلمين من خطر المنافقين وتنذر المنافقين بعذاب أليم قال تعالى (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (٢) وقوله تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)(٣).

وهذه العقوبة الدركية السفلية الجهنمية تتناسب تناسبا توافقيا مع بواطنهم السفلية النتنة التي كانوا يعيشونها في عالمهم الدنيوي فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا النبي محمد؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة. وعنه (صلى الله عليه وآله): فيراهما جميعا. وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس فيه.(٤).

---

(١)نفس المصدر
(٢)المنافقون اية ٤
(٣)النساء اية ١٤٥
(٤)ميزان الحكمة ج ٨ ص ١٤٢

ولخطورة المنافقين على الإسلام والمسلمين نلاحظ الاستحباب الوارد من قِبل الشارع المقدس في قراءة سورة المنافقين كل اسبوع في صلاة جمعة او صلاة الظهر لكي يكون المؤمنون في يقظة وحذر من زمرة المنافقين الذين يستترون بالإسلام والتدين وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : الواجب على كل مؤمن إذا كان لنا شيعة أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة وسبح اسم ربك الأعلى ، وفي صلاة الظهر بالجمعة والمنافقين فإذا فعل ذلك فكأنما يعمل بعمل رسول الله وكان جزاؤه وثوابه على الله الجنة).(١) [٣٠]

المطلب الثاني: الحذر من مرض النفاق

ان الأمراض القلبية ومنها مرض النفاق هي كالأمراض التي تصيب بدن الإنسان فعند فقدان المناعة من جسم الانسان يكون الجسم أكثر عرضة للأمراض فإذا لم يتوق المريض وقاية صحيحة تمنعه من الاصابة بالجراثيم والميكروبات يكون عرضة وهدفا للإصابة بالأمراض الخطيرة.

وكذا بالنسبة لطموح الإنسان المفرط وشغفه المستمر بتحصيل متع الحياة الكثيرة والمتنوعة تكون سببا لفقدان المناعة في مقاومة الأمراض المعنوية ، حيث تُسلب من الإنسان الرؤية الصحيحة والبصيرة الناجعة في تشخيص الطريق الحق حتى يصل الى مرحلة يتوسل بأية وسيلة وطريق لاستحواذ على مطلوبه ولو استعان برذيلة النفاق فيتعامل بالأخلاق والإنسانية والتملق والإجلال وما شاكل ذلك ويستبطن قلبه المريض بالأخلاق الفاسدة لأجل مصالحه .

اذن: فهذا المرض لم يأت من فراغ واتفاق بل هناك مقدمات وموجبات مهّدت الطريق وهيأّت الأسباب لتمرض القلب بداء النفاق وأهمها عدم رسوخ الإيمان وثباته في قلب المنافق وميوله الى شهواته.

---

(١)وسائل الشيعة ص ١٠١

وحينما يمرض القلب بداء النفاق تظهر علامات كثيرة في سلوك المنافق وفي أعماله وأقواله فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): المنافق من إذا وعد أخلف ، وإذا فعل أفشى ، وإذا قال كذب ، وإذا ائتمن خان ، وإذا رزق طاش ، وإذا منع عاش. (١) وعنه (صلى اللّه عليه وآله): ثلاث من كن فيه كان منافقا وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف . (٢) وعن الإمام السجاد عليه السلام قال : المنافق ينهى ولا ينتهي ، ويأمر بما لا يأتي ، إذا قام في الصلاة اعترض، وإذا ركع ربض ، وإذا سجد نقر، وإذا جلس شغر، يمسي وهمه الطعام وهو مفطر ، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر ، إن حدثك كذبك ، وإن وعدك أخلفك ، وإن ائتمنته خانك ، وإن خالفته اغتابك.[٣١] (٣)

وقد تأتي خاطرة الى الذهن وهي كيف يكون المسلم العامل بالفروع كالصلاة والصوم. منافقا؟ يمكن توضيح ذلك من جهتين :

الجهة الأولى: ان نعت الخائن والكذّاب والمخلف للوعد بالنفاق وإن صلى وصام وزعم انه مسلم باعتبار هؤلاء يظهرون شيئا خلاف ما يستبطنونه فالكذّاب يظهر الكلام الذي لا واقع له في الخارج ويدّعي صدقه وواقعيته ويستبطن خلافه والخائن يدعي ظاهرا الامانة وصونها وحفظها والحقيقة ليس كذلك والمخلف للوعد يدعي الوفاء بالوعد واحترامه ويستبطن خلاف ذلك.

الجهة الثانية: ان الفرد عندما يتوفق بدخوله دوحة الإسلام ويصبح مسلما يعني هذا انه اقرّ على نفسه بالرضا والتسليم بشريعة الدين الإسلامي ووجوب

(١)ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٤٤٧
(٢)نفس المصدر
(٣)نفس المصدر

الطاعة والعمل بأحكامه وتعاليمه والالتزام بلوازمه ومن أحكامه حرمة الكذب والخيانة وخلف الوعد ووجوب التحلي والاتصاف بأضدادها... فإذا ما صدر منه ما يخالف ما اقرّ على نفسه يعني ذلك انه ادعى شيئا ظاهرا وعمل خلافه وان زعم انه مسلم.[٣٢]

فالشارع المقدس يوجب على العبد المؤمن ان يكون ذا شخصية موزونة مستقيمة تتصف بالثبات والصراحة والوضوح والإخلاص ويكون متحليا بالشموخ والإباء عن كل رذيلة تحط من شخصيته ومنزلته وهذه المرتبة العالية انما تنال عند لجم شهوات النفس ورغباتها وبكبح جماحها ، والرضا بما قسم المنعم فالرضا بالموجود خير من اقتحام الحمى وإتباع المنى ، ومن كرمت عليه نفسه زواها عن كل قبيح، وعن كل ما يهوي بها الى الردى، ومن هانت عليه نفسه لم يبال بالإذلال والمهانة، وان نُعت بالنفاق عند اهل الارض والسماء عن علي (عليه السلام): ينبغي لمن علم شرف نفسه أن ينزهها عن دناءة الدنيا) (١) وعنه (عليه السلام): من شرفت نفسه نزهها عن دناءة المطالب) (٢) وعنه (عليه السلام): من لم ينزه نفسه عن دناءة المطامع فقد أذل نفسه، وهو في الآخرة أذل وأخزى).(٣)

اذن: فالشارع المقدس يؤكد على ضرورة الاستقامة والوضوح ويكون ظاهر العبد المؤمن كباطنه بل يكون باطنه اسمى وارقى من ظاهره فعن الإمام الباقر (عليه السلام): من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه) (٤) وعن الإمام علي (عليه السلام): لكل ظاهر باطن على مثاله، فمن طاب ظاهره، طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه.(٥)

---

(١)غرر الحكم ص ٧٩
(٢)نفس المصدر ص١٤٨
(٣)نفس المصدر ص ٤٠٥
(٤)مشكاة الانوار ص٢٤٦
(٥)غرر الحكم ص ٣٢٧

وان هذه الشخصية المزدوجة المركبة من لسانين ووجهين مهما نالت من متع الدنيا فهي الى الزوال والاندثار ولكن بخلاف التبعات المؤلمة والخطيرة الناتجة من النفاق فهي مقرونة مع المنافق وتلازمه حتى توردِه عذاب النار وتجلب له الخزي والعار ولذا نجد الآيات والروايات هددّت ذوي النفاق بالوعيد الغليظ والعذاب الشديد فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): يجئ يوم القيامة ذو الوجهين دالعا لسانه في قفاه، وآخر من قدامه، يلتهبان نارا حتى يلهبا جسده، ثم يقال له: هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين، يعرف بذلك يوم القيامة . (١) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): من لقي الناس بوجه وعابهم بوجه جاء يوم القيامة وله لسانان من نار .(٢).[٣٣]

ولكن هذا المرض الخبيث يمكن علاجه وهذه الصفة القبيحة يمكن تغييرها من خلال الندم والتوبة والاستغفار فيرتفع عنوان النفاق ببركة التوبة والعزم على عدم العودة.

فرحمة اللّه وكرمه وعفوه شملت توبته اهل النفاق الذين كانوا يدّعون الاسلام كذبا ونفاقا حال توبتهم وصلاحهم وإخلاصهم لدينهم قال تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا .(٣).

(١)الخصال ص ٤٦
(٢)وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٥٧
(٣)النساء اية ١٤٥

المبحث الرابع: مرض العُجب

المطلب الأول: الإعجاب دليل نقصان العقل

المطلب الثاني: الاعجاب يهلك صاحبه

مرض العجب

العُجب: هو ان يشعر الفرد بحالة من الابتهاج والزهو والاعجاب بالنفس بما خُوّلَ واعُطيَ من النعم المادية او المعنوية.[٣٤]

وعند النظر والتدبر الى هذا الداء والمرض الوبيل وهو الإعجاب بالنفس نصل الى سذاجة وحماقة المعجب بنفسه باعتبار محدودية الإنسان ونقصه وضعفه وفقره وحاجته وكل سمات الفقر والفاقة هي مكتوبة على ناصيته وقد أوجزها امير المؤمنين عليه السلام بقوله: ما لابن آدم والعجب وأوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بين ذلك يحمل العذرة.(١)

وكذا لو دققنا في جملة من الآيات المباركة والروايات الشريفة سنلاحظ التأكيد على العقل الجمعي، لأجل تربية الامة على التواضع ، ونبذ الاستئثار بالرأي ولدفع النظرة الفردية ، وخوفا من الهبوط في وحل الإعجاب بالنفس ومن تلك الآيات قوله تعالى (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) سورة ال عمران اية وقوله تعالى (وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)(٢). وقول أمير المؤمنين عليه السلام: من شاور الرجال شاركها في عقولها)(٣) وعنه عليه السلام : اضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الصواب . (٤).

فليس نقصا ان يجمع المرء عقول وأراء وأفكار الآخرين الى عقله وفكره بل القضية التي اريد حلها او علاجها والوصول الى النتيجة المطلوبة تكون اقرب للصواب والفلاح حينما تفزع عدة عقول إليها بخلاف المعجب بحنكته وفطنته وأفكاره فانه يستأثر بعقله ورأيه دون الغير لأنه يرى عقله وفكره فوق الجميع.

---

(١)ميزان الحكمة ج ٦ ص ١٠١
(٢)الشورى اية ٣٨
(٣)ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٠٢٥
(٤)غرر الحكم ص ٢٠٠

المطلب الثاني: الإعجاب دليل نقصان العقل

ان المولى عز وجل دعانا الى السعي في تحصيل محاسن الأخلاق ومجانبة أضدادها ، والكمالات الخلقية هدفها اصطناعة الفرد الصالح الذي تتحقق فيه سمة العبودية في جميع حركاته وسكناته من الافتقار والمسكنة والتواضع وان يتجافى عن الاستعلاء والتعاظم والنظر الى النفس بأنها الهرم الأوحد في هذا المجال والاختصاص من دون منازع.

فان كل هذه الطبائع هي من الأوهام والخدع النفسية والشيطانية ومنافية للعبودية الحقة ، وان تحقير الآخر واستصغاره يدل على الانحطاط والضعة في الأخلاق ونقصان في العقل قال امير المؤمنين عليه السلام : إعجاب المرء بنفسه برهان نقصه وعنوان ضعف عقله.(١) .

وأما العبد الذي استنار بنور المعرفة والهداية ووقف على حقيقة نفسه وضعفها ومبغوضية آفة العجب عند ربه فقد تسربل بسربال التواضع والحياء وتجافى عن الإعجاب والظهور والعظمة قال امير المؤمنين عليه السلام : لا ينبغي لمن عرف الله أن يتعاظم .(٢).[٣٥]

وفي عدة الداعي (أن الله سبحانه أوحى إلى موسى(عليه السلام) إذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خيرا منه فجعل موسى لا يعترض [يعرض] أحدا إلا و هو لا يجسر [يجترئ] أن يقول إني خير منه فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتى مر بكلب أجرب فقال اصحب هذا فجعل في عنقه حبلا ثم مر [جر] به فلما كان في بعض الطريق شمر الكلب من الحبل و أرسله

---

(١)غرر الحكم ج ١ ص ٢١٤
(٢)نفس المصدر

فلما جاء إلى مناجاة الرب سبحانه قال يا موسى أين ما أمرتك به قال يا رب لم أجده فقال الله تعالى وعزتي و جلالي لو أتيتني بأحد لمحوتك من ديوان النبوة . (١).[٣٦]

وان الواقف على كلام وأدعية اهل البيت (سلام الله عليهم اجمعين)يرى مدى تواضعهم واعترافهم بالفقر والمسكنة مع انهم عصارة الخليقة ولا يدانيهم ويجاريهم في علمهم وفضلهم احد لان المعرفة الالهية اخذت بمجامع عقولهم وأنارت بصائر قلوبهم فالعظمة والكبرياء لمن له العظمة والكبرياء فقد ورد من أدعيتهم كدعاء سيد الشهداء (عليه السلام) (اِلهي اَنَا الْفَقيرُ في غِناي فَكَيْفَ لا اَكُونُ فَقيراً في فَقْري ، اِلهي اَنَا الجاهِلُ في عِلْمي فَكَيْفَ لا اَكُونُ جَهُولاً في جَهْلي) مفاتيح الجنان ومقطع اخر عن الإمام السجاد عليهم السلام (وَما اَنَا يا رَبِّ وَما خَطَري).

المطلب الثالث: الإعجاب يهلك صاحبه

ان إعجاب المرء بنفسه يقيّد ويغّل النظر والفكر عن تقبل واستيعاب الآخر فالذي يحصر نظره الى نفسه دون سواها فلا يترك مجالا للأخر ان يدانيه في عقليته وآراءه فيرفض نظريات وأفكار الآخرين فعن الإمام الصادق (عليه السلام): من اعجب بنفسه هلك، ومن اعجب برأيه هلك .(٢) وإن عيسى بن مريم (عليه السلام) قال : داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله ، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله ، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله ، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه ! فقيل: يا روح الله ! وما الأحمق؟ قال: المعجب برأيه

(١)عدة الداعي ص ١٣٥
(٢)ميزان الحكمة ج ٦ ص ٩٣

ونفسه، الذي يرى الفضل كله له لا عليه ويوجب الحق كله لنفسه ولا يوجب عليها حقا، فذاك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته. (١)[37]

والقرآن الكريم قد ضرب لنا نماذج وأمثلة كثيرة في خصوص هذا المرض، وإبليس اللعين هو احد هذه العينات التي اصابها العجب حيث كان يرى الكمال كل الكمال في اصل خلقته النارية دون عداها والنظر الى نفسه بالشموخ والاستعلاء ولأدم بالدونية فلذا لم يستطع استيعاب وتقبل الخلقة الطينية الآدمية وعلاوة على ذلك ان تكون لها الاسبقية والأفضلية عليها ، فأعلن الحرب الضروس على آدم وذريته الى يوم يبعثون قال تعالى حاكيا عن ابليس (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)(٢).

فإذن: هذه العقيدة المريضة وهي الاعجاب بالنفس اوصلت المخلوق الى الهلاك والاستبعاد والهبوط ولعل المرء يغفل عن هذه النتائج المخيفة بسبب فقدان نور المعرفة وتعلعل القلب بمرض الكبر والانا ولذا ورد التأكيد بضرورة الوقوف على النفس بدقة والبحث عن الأمراض والنواقص لقلعها وتطهير القلب من تلك القاذورات خشية الوقوع في المهالك التي لا منجى منها فعن علي عليه السلام: العجب هلاك.(٣) قال سلام الله عليه (شر الناس من يرى أنه خيرهم) (٤) .

(١)نفس المصدر السابق.
(٢)الأعراف اية ١٥
(٣) غرر الحكم ص ٢١٤
(٤) نفس المصدر

ثم ان الاعجاب بالنفس له عناوين عديدة ويفرز أمراضا وسموما كثيرة فالذي يعجب بكثرة ماله وثروته وغناه قد يستنكف عن مجالسة الفقراء ومحادثتهم وإلقاء التحية ومصاهرتهم وفي البحار ينقل رواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل موسر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نقي الثوب فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله) فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى جنب الموسر فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أخفت أن يمسك من فقره شي ؟ قال : لا ، قال : فخفت أن يصيبه من غناك شئ ؟ قال : لا ، قال : فخفت أن يوسخ ثيابك ؟ قال : لا ؟ قال : فما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله إن لي قرينا يزين لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن وقد جعلت له نصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للمعسر : أتقبل ؟ قال: لا، فقال له الرجل: لم ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك. (١) [٣٨]

وقد يتوفق العبد للطاعات والعبادات من المناجاة والأذكار والأوراد وصلاة الليل والنفقة وصلة الأرحام وبر الوالدين وما شابه ذلك فيشعر انه مميز بين اقرانه بما نال من حظوة العبادة والعمل الصالح فيستدرج من قبل الشيطان اللعين فيلقي في روعه بسمو مقامه وعلو شأنه فيصاب بعدوى الاعجاب فيّزل عن جادة الصواب فينظر الى غيره بالاستخفاف وقصر اليد عن نيل المراد وانه لا غير الاسطورة في الزلفة والقربة عند المليك المنان ودونه خرط القتاد.

ينقل المجلسي في بحاره عن الإمام الصادق (عليه السلام) - إن عيسى بن مريم كان من شرائعه السيّح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من

---

(١) ميزان الحكمة ج ٧ ص ٣٦٧

أصحابه قصير، وكان كثير اللزوم لعيسى (عليه السلام)، فلما انتهى عيسى إلى البحر ، قال : بسم اللّه بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى (عليه السلام) جازه: بسم اللّه بصحة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى (عليه السلام)، فدخله العجب بنفسه... فرمس في الماء ، فاستغاث بعيسى فتناوله.(١) ٣٩

ان التدلل والابتهاج والإعجاب بالعبادة بمفهومها العام توصل العبد إلى الهلاك والتقهقر عن علي (عليه السلام): يدخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق فيخرجان من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق ، وذلك أنه يدخل العابد المسجد وهو مدل بعبادته وفكرته في ذلك ، ويكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه ، فيستغفر الله من ذنوبه.(٢)

ولذا من الالطاف الالهية ان الله تعالى يزوي عن عبده بعض الطاعات رحمة وشفقة به لئلا يدخله العجب فيفسد عمله وعاقبته كما يفسد الخل العسل فعن عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله عز وجل (...وإن من عبادي لمن يجتهد في عبادتي وقيام الليل لي فالقي عليه النعاس نظرا مني له فيرقد حتى يصبح ويقوم حين يقوم وهو ماقت لنفسه ، زار عليها ، ولو خليت بينه وبين ما يريد لدخله العجب بعمله، ثم كان هلاكه في عجبه ورضاه عن نفسه ، فيظن أنه قد فاق العابدين ، وجاز باجتهاده حد المقصرين فيتباعد بذلك مني ، وهو يظن أنه يتقرب إلي ألا فلا يتكل العاملون على أعمالهم ، وإن حسنت ، ولا ييئس المذنبون من مغفرتي لذنوبهم ، وإن كثرت ، لكن برحمتي فليثقوا ، ولفضلي فليرجوا ، وإلى حسن

(١) ميزان الحكمة ج ٦ ص ٩٢.
(٢) نفس المصدر

نظري فليطمئنوا ، وذلك أني ادبر عبادي بما يصلحهم، وأنا بهم لطيف خبير (١).

وان العبد مهما بلغ رتبة ومنزلة في العبادة والمعرفة فهو عاجز عن الوصول الى مرتبة حق العبودية وأداء شكر المنعم فالرسول الاكرم صلى الله عليه واله مع علو منزلته يعترف قائلا الهي (ما عبدناك حق عبادتك ، وما عرفناك حق معرفتك).(٢)

فان الاعتراف بالتقصير والعجز امام نعم الله وكرمه يكسر جماح النفس ويلوي ذراع الشيطان، وان استدامة ذم العبد لنفسه على ما فرط في طاعة ربه وعن اداء شكره هو خير سبيل وطريق لنزول العناية والرحمة الالهية.[40]

فعن الإمام الرضا (عليه السلام): إن رجلا كان في بني إسرائيل عبدَ الله تبارك وتعالى أربعين سنة فلم يُقبل منه، فقال لنفسه : ما اوُتيت إلا منك ، ولا الذنب إلا لك ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ذمك نفسك أفضل من عبادة أربعين سنة . (٣)

(١)التمحيص ص ٥٦
(٢)مرآة العقول ج ٨ ص ١٤٦
(٣)ميزان الحكمة ج ٦ ص ٩٦.

المبحث الخامس: لقمة الحرام

المطلب الأول: مال الحرام وأثره على القلب

المطلب الثاني: قصة شريك بن عبد اللّه النخعي:

الخلاصة

لقمة الحرام

هناك علائق وروابط بين الامور المادية والمعنوية بحيث نلاحظ تأثير أحدهما على الآخر فانشراح القلب وانبساطه عامل دفع ومحرك نحو العمل وضيق الصدر وقسوته وظلمته عامل مثّبط للعمل.

وكذلك الكلام في مسالة لقمة الحرام وأثرها الفاعل في تلويث القلب وما لها من الآثار الوضعية على القلب بحيث يعمى القلب عن رؤية الحق واستماع للحق واتباع الحق ومثقلة للعبادات وسالبة للتوفيق.[٤١]

ومن الإشارات الى هذه النكتة كلام الإمام الحسين عليه السلام مع جيش ابن سعد قال سلام الله عليه ((... وَيْلَكُمْ ما عَلَيْكُمْ اَنْ تَنْصِتُوا اِلَيّ فَتَسْمَعُوا قَوْلي وَاِنما اَدْعُوكُم الى سَبيلِ الرَّشادِ فَمَنْ اَطاعَنِي كانَ مِنَ الْمُرْشَدِينَ وَمَنْ عَصانِي كانَ مِنَ الْمُهْلَكِينَ وَكُلُّكُمْ عاصٍ لأمري غَيْرُ مُسْتَمِعٍ لِقَوْلي قَدِ انْخَزَلَتْ عَطيّاتُكُمْ مِنَ الحَرامِ وَمُلِئَتْ بُطُونُكُمْ مِنَ الحَرام فَطَبَعَ اللّهُ عَلى قُلُوبِكُمْ وَيْلَكُمْ اَلا تَنْصِتُونَ اَلا تَسْمَعُونَ؟... تَبّاً لَكُمْ اَيَّتها الجَماعَةُ وَتَرَحاً.(١)

ولقد ضرب القرآن الكريم نموذجا عن المرابي الذي يأكل الأموال بالباطل حيث وصفه بالمسوس أي المجنون في قيامه وحركته حيث فقد التوازن والاعتدال في سلوكه قال تعالى (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ . (٢)

ان الاعراض والعزوف الحاصل عن عدم تقبل المواعظ وعدم التفاعل مع العبادات كالإعراض والعزوف عن تلاوة القرآن وقراءة الدعاء او عدم ملامسة

---

(١) لواعج الاشجان ١٢٦

(٢)البقرة آية ٢٧.

اثارهما الباطنية المباركة وكذلك الحرمان من التأثر والتفاعل مع الصلاة والزيارة والحج.

فهذه الآثار السلبية الخطيرة فان إحدى موجباتها الرئيسية هو اكل مال الحرام بالباطل.

ان لقمة الحرام لتؤّثر على نطفة الرجل وعلى أخلاق الذرية ومزاجها التربوي. وبالجملة ان أكل الحرام يسري في كل شيء سريان النار في الهشيم.

ان عدم المبالاة بحلية الشيء او حرمته وعدم التورع في مواطن الشبهات يوقع الشخص في محاذير والمحرمات عديدة ومن الطريف انه يحكى كما ينقل صاحب موسوعة الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام نقلا عن كتاب * الأربعون حديثا * عليّ بن محمّد: رأيت ابنة أبي الأسود الدؤلي وبين يدَي أبيها خَبيص فقالت: يا أبه، أطعِمني، فقال: افتحي فاك. قال: ففتحت، فوضع فيه مثل اللوزة، ثمّ قال لها: عليك بالتمر؛ فهو أنفع وأشبع. فقالت: هذا أنفع وأنجع ؟ فقال: هذا الطعام بعث به إلينا معاوية يخدعنا به عن حبّ عليّ بن أبي طالب(عليه السلام).فقالت: قبّحه اللّه! يخدعنا عن السيّد المطهّر بالشهد المزعفر؟ تبّاً لمرسله وآكله! ثمّ عالجت نفسها وقاءت ما أكلت منه، وأنشأت تقول باكية: أبالشهد المُزعفَر يا بن هندٍ نبيع إليك إسلاماً ودينا فلا واللّه ليس يكون هذا ومولانا أمير المؤمنينا.[42]

وعن النبي (صلى الله عليه وآله): إذا وقعت اللقمة من حرام في جوف العبد لعنه كل ملك في السماوات والأرض. (١)

---

(١) مشكاة الانوار ٢٤٢.

ومن العجيب ان البعض يتفنن في كسب مال الحرام ويعّده من الحذاقة والكياسة ويتغافل عن هدم مروءته وعفته معرضا شخصيته الإنسانية ان تماثل الحيوانية التي لا هم لها سوى العلف والتقمم !! فهل يا ترى أُستخلف الانسان في الارض لكي يأكل الأموال بالسحت ام يسعى لتعمير الارض والاخرة؟ قال تعالى: وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) (١) وقال سبحانه :هُوَ اَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (٢) عن امير المؤمنين (عليه السلام) : نعم العون الدنيا على الآخرة .[43](٣)

وهل خُلق الإنسان لأجل التحلي بمكارم الأخلاق كالورع والقناعة والعفة ام يتردى الى أدنى طبائع الحيوانية ؟ الم يؤمر بالتدبر والنظر الى حلية الطعام بقوله تعالى (فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ).(٤)

ان الواله لجمع المال من أسبابها الغير المشروعة كالساعي الظمآن خلف السراب لن يجد الارتواء والراحة والطمأنينة مهما جدّ في الطلب لان ما كان يظنه ماءً بان سرابا وكذلك طالب الدنيا الذي لا هم له سوى جمع الاموال من اي مورد اتفق لن يجد الارتواء مهما جد في السعي فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): منهومان لا يشبع طالبهما: طالب العلم وطالب الدنيا.(٥) وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): مثل الدنيا مثل ماء البحر ، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله.(٦)

(١)الاسراء اية ١٩
(٢)هود اية ٦١
(٣)مشكاة الانوار ص ١٠٩
(٤)عبس ٢٤
(٥)ميزان الحكمة ج ٢٠٢
(٦)ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٦٢

ان الحرص على استيلاء الاموال من اي مورد كان ومن اي جهة اتفق يجعل الفرد لا يكترث ولا يبالي بالآثار الوضعية التي تُنكّس قلبه وبالتالي تُهدّد مصيره الأخروي.
وإذا كان اصل مال الفرد حلالا فليس بالضرورة ان لا يأكل حراما فما أكثر ما يباع في أسواق المسلمين من اللحوم والأجبان وغيرهما من المواد المعدة للأكل التي يتم استيرادها من دول لا تتورع عن الحرمة ومع ذلك لا يتورع الفرد عن شرائها ولا يعبأ بما تؤول إليه هذه الأطعمة من أضرار وضعية سلبية على قلبه وصحته.[٤٤]

المطلب الثاني: مال الحرام وأثره على القلب

ان فتنة المال من أشد الفتن على بني ادم، حيث يضعف تحت تأثيره الكثير، وقلمّا تجد انُاسا يخرجون من قبضة سلطانه، وقد أهلك أمما كثيرة فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم ، وهما مهلكاكم .(١).

وهنا توجد نقطة جديرة بالوقوف عندها والتأمل فيها : وهي ان سبل استيلاء على مال الحرام كثيرة ومتعددة وبالنهاية يجمعها عنوان واحد وهو مال الحرام ولكن تتفاوت المسالة قوة وضعفا بالنسبة الى طريق الكسب الذي تم من خلاله استيلاء على الأموال المحرمة ، فالدرهم المأخوذ عنوة واحتيالا من مال اليتيم او من المعاملة الربوية لا يساوق الدرهم الحرام المأخوذ من تقصير في عمل معين كخياط الثوب .

فكلما كان مورد كسب مال الحرام يتميز بشدة القبح والمبغوضية عند الله تعالى كان اشد اثرا ووقعا على القلب في تحجره وقسوته فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): وشر الكسب كسب الربا، وشر المأكل أكل مال اليتيم ظلما) (٢).

---

(١)مشكاة الانوار ص ٩٧
(٢)ميزان الحكمة ص ٨٨

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية بذات محرم في بيت الله الحرام.(١)

وإذا كانت التخمة من مال الحلال ورد فيها الكراهية لما فيها من المحاذير والآثار السلبية والكبيرة على القلب وعلى العبادات فما بالك بمال الحرام ؟.ثم ان القلوب ما دامت مولعة بأكل الأموال بالباطل وما دامت هذه القلوب مشغوفة ومسكورة ومشغولة بكسب الاموال ظلما لا يمكن ان تجتمع مع حب الله تعالى قال تعالى (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُل مِّن قَلْبَينِ فِي جَوْفِهِ).(٢)

فكيف يجتمع في قلب العبد حبان؟ حب أكل الأموال بالباطل، وحب الله ؟ فحب الله يساوق الاتباع والامتثال ولا يقترن مع التعدي والعصيان قال تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣) نعم إنْ خلع الشخص عن نفسه جلباب الطمع و الأنانية وتدرع بدرع الحياء والخوف من الله تعالى حينها يؤوب القلب الى طهارته ونورانيته .[٤٥]

الخلاصة:

ان الباري عز وجل الذي قد أوجد الإنسان من العدم وأسبغ عليه النعم، وتكفل برزقه وهو في رحم امه الى ان تراق روحه ولم يتخل عن رفده بالنعم وإن عصى وكفر !! فكيف بمن أطاع وشكر؟؟ أي جرم وقبح حينما يقطع العبد أواصر الثقة بربه فتسوقه مطامعه النفسية ان يقتحم اسوار حرمته فلا يدع سبيلا يدّر عليه مال الحرام إلا اقتحمه وسلكه !!.

(١) عوالئ اللآلي ج ٣ ص ٣٧
(٢)الأحزاب آية ٤
(٣)ال عمران اية ٣١

وانه عز وجل فتح ابواب رحمته ودّل على استنزال فضله وكرمه، وضمن استجابة دعوة عبده فقال سبحانه (وَاسْأَلُوا اللّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً.(١)

وما على المرء إلا ان يكبح شهواته و أطماعه ويقنع بما قُدّر له من الرزق عن النبي (صلى اللّه عليه وآله): في حديث المعراج " مررت بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث يأكلون اللحم الخبيث ويدعون الطيب، فقلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون الحرام ، ويدعون الحلال) (٢) وعن الامام قال الصّادق (عليه السلام): ترك لقمة حرام أحبّ إلى اللّه تعالى من صلاة ألفي ركعة تطوّعاً . [٤٦] .(٣)

(١)النساء اية ٣٢
(٢)ميزان الحكمة ج ٤ ص ٨٨٢
(٣)عدة الداعي ص ٨٨

المبحث السادس: الصمت

الصمت راحة القلب

الصمت

ان الصمت له فوائد جمة، ومباحثه كثيرة ولكن نتناول ما يرتبط ويتناسب مع موضوعنا وهو القلب حيث تُعد فضيلة الصمت من الملكات المباركة والعظيمة على العبد حيث تفيض الانارة والسكينة والهدوء والراحة على القلب والفكر ، وصمام أمان لكثير من آفات الذنوب فضلا عن اجلاب الهيبة والوقار والسلامة والستر ودليل الحكمة فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا رأيتم المؤمن صموتا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة . (١) وعن علي (عليه السلام): أكثر صمتك يتوفر فكرك، ويستتر قلبك، ويسلم الناس من يدك.(٢) وعنه (عليه السلام): الصمت يكسيك الوقار ويكفيك مؤنة الاعتذار. (٣).

وضده الكلام وآلته اللسان وهو كغيره من النعم المفاضة على العباد بل يعد اللسان من أشرف جوارح الانسان، وان اول مفردة اُنزلت من الفيض الاقدس على قلب الخاتم (صلى الله عليه وآله) هو قوله تعالى (اقرأ) أي ان يقرأ الآيات الكريمة بلسانه الشريف على مسامع الناس ويدعوهم الى الإيمان بالله تعالى واليوم الاخر.[٤٧]

وفي نفس الوقت يُعد اللسان من اخطر الجوارح فتكا، وقد وصفه امير المؤمنين عليه السلام بالجموح أي المتمرد والمستعصي على صاحبه حيث قال سلام الله عليه : ليخزن الرجل لسانه ، فإن هذا اللسان جموح بصاحبه ، والله ما أرى عبدا يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه) (٤) .

---

(١)تحف العقول ص ٩٢
(٢)ميزان الحكمة ص ٥٢٣
(٣)غرر الحكم ص ١٣٩
(٤)ميزان الحكمة ص ١٠٧

ولو خُلي الكلام من النفع فسجن اللسان اولى من اطلاق العنان له فعنه عليه السلام: ما من شيء احق بطول السجن من اللسان . (١)[48]

وثمّة قصّة معروفة عن لقمان، وهي أنّ مولاه دعاه ـ يوم كان عبداً ـ فقال : اذبح شاة ، فأتني بأطيب مضغتين منها، فذبح شاة، وأتاه بالقلب واللسان وبعد عدّة أيّام أمره أن يذبح شاة ، ويأتيه بأخبث أعضائها ، فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان، فتعجّب وسأله عن ذلك فقال: إنّ القلب اللسان إذا طهّرا فهما أطيب من كلّ شيء، وإذا خبثا كانا أخبث من كلّ شيء.(٢)

إذن: فمن العوارض سالبة لسلامة القلب هو فضول الكلام، وان عملية لجم اللسان فيما لا فائدة منه تُعّد من أشد رياضات صعوبة وان الظفر في مطاوعة اللسان وجعله منقادا تحت امرة صاحبه يحتاج الى مراقبة مستمرة وجهد وجهاد وصبر وثبات، ولذا ينقل عن احد علمائنا السالكين انه كان يضع حصاة تحت لسانه بغية لجم لسانه والحد من آفة فضول الكلام.

ومن كلام إمامنا الصادق (عليه السلام) مع محمد بن النعمان انه قال : .. إن من كان قبلكم كانوا يتعلمون الصمت وأنتم تتعلمون الكلام ، كان أحدهم إذا أراد التعبّد يتعلم الصمت قبل ذلك بعشر سنين فإن كان يحسنه ويصبر عليه تعبد وإلا قال : ما أنا لما أروم بأهل ، إنما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء ...الخ .(٣) .

---

(١)نفس المصدر السابق
(٢)تفسير الامثل ج ١٣ ص ٤٢
(٣)ميزان الحكمة ج ٥ ص ٢٩٠

ودخل لقمان على داود وهو يسرد الدرع... فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمها لبسها وقال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال: الصمت حكمة وقليل فاعله، فقال له داود (عليه السلام): بحق ما سميت حكيما. (١).

ومن المؤسف أنك تجد انُاسا همهم التسامر وقضاء الأوقات مع هذا وذاك وإتلاف أعمارهم باللهو واللغو وفي حديث لا خير فيه ولا نفع.[٤٩]

وان المجالس التي تخلو من اهل الورع والدين نادر ما تسلم من الوقوع في مصائد الشيطان بتناول أعراض المؤمنين بالسوء، بحيث أصبحت المجالس الكثير منها - وللأسف - مرتعا للهو والشغل الشاغل لضّعاف النفوس وان المجلس في نظر هؤلاء يعد تافها وهزيلا اذا خُلي من اللغو واللهو والفكاهة والمزاح والبغي على حرمة المؤمن .

نعم هذا هو واقع الحال ولا مفر من قول الحقيقة فان الكثير من المجالس هكذا حالها.

وان انعقاد المجالس بهذه الكيفية يعد عقوقا جليا لأهل البيت عليهم السلام وخلافا لما يرجونه من مواليهم وأتباعهم وان هذه المجالس لتدخل الاسى والحزن عليهم فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال لفضيل: تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا يا فضيل ، فرحم اللّه من أحيا أمرنا، يا فضيل ! من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر اللّه له ذنوبه ولو كان أكثر من زبد البحر. (٢)

(١)وسائل الشيعة ج ١٢ ص ١

(٢)ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢٢٠.

إذن فالنتائج المتوقعة من هذا الداء تنعكس سلبا على نقاوة القلب وصفاءه ، فان فضول الكلام وكثرته بلا مبرر ومع خلوه من النفع قد يؤول الى عواقب وخيمة ونتائج سلبية في تمّرض القلب وقسوته وقد اشار امير المؤمنين عليه السلام الى هذه النكتة بقوله:(مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ ومَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ومَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ اَلنَّارَ) (١).٥٠

ولا ريب ان الإمام (سلام الله عليه) في مقام ذم كثرة الكلام السلبي الذي لا خير فيه وإلا فكلام الحق لا اشكال ولا ضرر فيه وان كُثر ولذا يحكي القرآن الكريم عن نبي الله نوح عليه السلام مع قومه قال تعالى (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا)(٢) .

بعد هذه الاطلالة السريعة على ضرورة التحلي بفضيلة الصمت والنأي عن فضول الكلام من اجل الحفاظ على نقاوة القلب وإعداد الأرض خصبة لنزول البركات ولأجل ان يبقى (ليس في الدار غيره ديّار).

فيتحتم على البصير ان يهتم بإصلاح القلب ويتم ذلك بصيانته عن الغفلة واللغو وفضول الكلام وإلا كانت النتائج لا تحمد عقباها على القلب.

فان مرض القلب لا يقاس بمرض البدن للأمراض البدنية إذا انعدم علاجها لا تضر على عاقبة المؤمن ما دام القلب طاهرا سليما من المعاصي والآثام بخلاف مرض القلب فهو المحور وعليه المعّول والنجاة فإذا قسا قلب العبد وتحّجر كانت الدنيا هي امّه فيرضع من متعها و لذائذها حتى

---

(١)نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٧
(٢)نوح اية ٥

تعزفه وتبعده عن الآخرة قال تعالى (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا)(١).

ومن المؤسف حقا أننا اذا ما ابتلينا بعلة في بدننا نسعى جاهدين بكل ما أُوتينا في معالجة ما ألمّ بنا من المرض ولكن ترانا نكسل ونهمل في إصلاح قلوبنا التي اصُيبت بشتى الأمراض المعنوية من الحسد والحقد والنفاق وسوء الظن.. الخ[٥١]

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) – في وصيته لابن جندب –: اجعل نفسك عدوا تجاهده، وعارية تردها، فإنك قد جعلت طبيب نفسك، وعرفت آية الصحة، وبين لك الداء، ودللت على الدواء، فانظر قيامك على نفسك.(٢)

ان الأمراض القلبية هي مجعولة تحت سلطة الإنسان نفسه، فما عليه إلا يشحذ الهمة ويشمّر ساعد الجد في استئصال الأورام الخبيثة من قلبه آخذاً بإرشادات الحكماء وأطباء القلوب وهم أهل البيت (عليهم السلام) فقد وصف امير المؤمنين عليه السلام رسول الله صلى الله عليه والله بأنه (طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَ آذَانٍ صُمٍّ وَ أَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَ مَوَاطِنَ الحَيْرَةِ).(٣)

---

(١) البقرة اية ١٠
(٢) ميزان الحكمة ج ص ٣
(٣) نهج البلاغة ج ص ١٨٢

ان ارادة المؤمن اذا ما استحكمت على جارحة اللسان سينعم القلب بالهدوء والسكينة والراحة ويزاد الفكر بصيرة وتنورا وسيسد على نفسه الكثير من مداخل الشيطان ومنافذ الذنوب : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : رحم الله عبداً تكلم فغنم ، أو سكت فسلم ، إنّ اللسان أملك شيء للإنسان ، ألا وإن كلام العبد كله عليه ، إلا ذكر الله تعالى ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر، أو إصلاح بين مؤمنين » فقال له معاذ بن جبل : يا رسول الله ، أنؤاخذ بما نتكلم به ؟ فقال : وهل تكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم !فمن أراد السلامة فليحفظ ما جرى به لسانه، ويحرس ما انطوى عليه جنانه ، ويحسن عمله ، وليقصر أمله.(١) [٥٢]

وعن علي (عليه السلام) – لقنبر وقد رام أن يشتم شاتمه: مهلا يا قنبر ! دع شاتمك مهانا ترض الرحمن وتسخط الشيطان وتعاقب عدوك، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه.(٢)

وعنه (عليه السلام): إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا! ويناشدونه ويقولون : إنما نثاب بك ونعاقب بك.(٣)

---

(١) الاعلام الدين في صفات المؤمنين ص ٢٠
(٢) الامالي المفيد ص ٧١
(٣)الاختصاص ص ٧٣

المبحث السابع: داء الغيبة

المطلب الأول: انتهاك حرمة المؤمن

المطلب الثاني: الغيبة تحبط العمل

المطلب الثالث: الاستخفاف بالغيبة

المطلب الرابع: الغيبة آية العاجز والمنافق

المطلب الخامس: الغيبة إدام أهل النار

داء الغيبة

الغيبة: هي ان تذكر أخاك بما يكره بظهر الغيب وهي مأخوذة من الغياب في قبال الحضور لأن المغتاب - بالفتح - غير حاضر حال اغتيابه بما لا يرضى من القول .

وتعد الغيبة من اشد الامراض القلبية ضراوة على أخلاق المؤمن وكذا تعد من أكثر المسائل رواجا وانتشارا بين الناس وهي ايضا كالنار في الهشيم في حبط الأعمال الصالحة وغير ذلك مما سيأتي تباعا ان شاء الله وفيها بحوث:

المطلب الأول: انتهاك حرمة المؤمن

ركزّت الشريعة الاسلامية ومن خلال احكامه وتشريعاته العظيمة وآدابه الشريفة على إيجاد مجتمعا يتسم افراده بالأخلاق والطهارة والتآلف ومفارقة الأخلاق الفاسدة والعادات السيئة وفي النفس الوقت أكدت تأكيدا كثيرا على حرمة بذل الجهود والمساعي المنافية للشريعة لغرض تمزيق أواصر وتفريق وحدته وتشتيت كلمته ومن المعلوم ان المجتمع الناجح انما يستمد قوته وثباته بتكاتف افراده وتعاون عناصره والدفاع عن حرماته والالتزام بأحكامه ومن أهم الأحكام التي أكد عليها الشارع المقدس هو صيانة حرمة المؤمن ولزوم حفظ مكانته وسمعته من الخدش فقد ورد في الحديث الشريف المشهور ان حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة لأن المؤمن هو لبنة مهمة من المجتمع الإسلامي وهدم مروءة المؤمن هو ضرب وهدم لبناء المجتمع ولحفظ هذا البناء من الهدم او التصدع شُرعت قوانين صارمة وعقوبات شديدة للردع من ردمه او تضعيفه.

ثم ان الأخوة الإيمانية بين المؤمنين بنص القرآن الكريم والروايات الشريفة تلزم بوجوب صيانة حرمة المؤمن بل بوجوب دفاع عن حرمته في حال تعرضها الى الهتك او التشويه او التقليل من شأنها.[٥٣]

والغيبة تُعد من أشد العوامل خطورة في هتك حرمة المؤمن وإسقاط منزلته ومكانته وشخصيته بين الناس ، وهذا الفعل الشنيع يُوّلد ويُنشأ حالة سيئة أخرى وآفة سلبية جديدة في المجتمع وهي انعدام الثقة بين الأفراد وانكشاف عيوب وعورات الآخرين وكذا سقوط المغتاب – بالفتح – من أعين الناس عند الاطلاع على عيوبه فعن الإمام الصادق (عليه السلام): من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله عز وجل ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان . (١)

وأن الآية المباركة التي ورد فيها النهي عن الغيبة قد ذكرت مفردة الاخ للتنبيه والتذكير الى ان هذا المغتَاب هو اخ لكم فهل يصح اغتيابه وهتك حرمته ؟ قال تعالى (وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ.(٢))

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): المؤمن أخو المؤمن لأبيه وامه.(١) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): إنما المؤمنون إخوة بنو أب وأم، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون.(٢)

---

(١)الاختصاص ص ٢٠.
(٢)الحجرات اية ١٢

فكما انتم اذا رأيتم احدا منكم يأكل لحم أخيه ميتا فلا تحبون ذلك الفعل لاستقذراه وكراهيته في انفسكم ! فكيف تحبون ان تنالوا من اخيكم بالسوء وبما لا يرضى من القول وهو غاب غير حاضر فكان الاجدر بكم ان تمتعضوا وتكرهوا ذلك مثلما تنفرون من اكل لحم الميت !! . ٥٤

من هذه النتائج الخطيرة وغيرها ورد النهي الصريح في اجتنابها والوعيد الشديد من أتاها.

روي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته. (٣) وعنه (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر: يا أبا ذر ! إياك والغيبة ، فإن الغيبة أشد من الزنا... قلت: يا رسول الله وما الغيبة ؟ قال : ذكرك أخاك بما يكره، قلت يا رسول الله فإن كان فيه ذاك الذي يذكر به ؟ قال: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته.(٤)

---

(١)كتاب المؤمن ص ٢٩
(٢)أعلام الدين في صفات المؤمنين ص ٢٥
(٣)ميزان الحكمة ص ٤١١
(٤)نفس المصدر

المطلب الثاني: الغيبة تحبط العمل

ان إحباط الأعمال الصالحة أمر مهول وعظيم ويجب ان لا يستهين به أي عاقل ممن يحذر الاخرة ومواقفها المخيفة التي تأخذ بالقلوب والأبصار بعد ثبوتها بالشريعة وستأتي جملة من الشواهد على ذلك.

ومما لا يخفى ان المؤمن في دار الدنيا يبذل الطاقة الجسدية والمالية في العبادات والطاعات ويسّخر ويكّرس ما لديه من الأمور المعنوية كالوجاهة والقرابة والعلم وما شابه ذلك، وجاء بكل ذلك لوجه الله تعالى وقضى عمره الثمين والطويل في السعي والجهد والعمل الصالح ولكن للأسف قلبه متمرض بداء الغيبة فإذا جلس أخذ يسامر اخلائه وأحبائه وكانت فاكهته المفضلة هو النيل من أعراض الناس وكشف عيوبهم !! .

والداهية الكبرى والمصيبة العظمى انه كان قرير العين ويشعر بالنشوة بأعماله الكثيرة الصالحة التي كانت تشعره بالارتياح والامل والرجاء بما اعد واستعد لذلك اليوم العصيب واذا يؤتى بديوانه يوم القيامة فلا يرى فيه حسناته الكثيرة التي كان قد عملها وبذل ما بذل من العناء والمشقة لأجلها !! بل الطامة الكبرى يجد السيئات الكثيرة في سجله وملفه وهو لم يفعلها انما اخذت من سجل المغتاب – بالفتح – وأضيفت الى سجله !! فما أشد وأصعب هذه المواقف على الإنسان يوم الفصل.

ان حبط الأعمال الصالحة ومحوها من المسائل الثابتة في القرآن الكريم وفي احاديث اهل البيت عليهم السلام كقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا

تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) (١)الحجرات اية ٢.

وقوله تعالى (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً. (١) وعن النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله): يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته، فيقول: إلهي ليس هذا كتابي ! فإني لا أرى فيها طاعتي؟ ! فيقال له: إن ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس، ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول : إلهي ما هذا كتابي ! فإني ما عملت هذه الطاعات! فيقال : لأن فلانا اغتابك فدفعت حسناته إليك.(٢) وعنه (صلى الله عليه وآله): إن الرجل ليؤتى كتابه منشورا فيقول: يا رب فأين حسنات كذا وكذا عملتها ليست في صحيفتي ؟ ! فيقول: محيت باغتيابك الناس. (٣) وعنه رسول الله (صلى الله عليه وآله):الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه .°°(٤)

ان الامعان والنظر والتدبر في قضية حبط الأعمال وحقيقتها وما تكتنفه من مخاطر جليلة ونتائج مخيفة وشدة الوقعة وفجأة الصدمة التي تبهت الانسان يوم المحشر لجديرة ان لا تغيب عن فكر وقلب كل عاقل يخاف من عظمة الورود وشدة المواقف وكثرتها وتنوعها ،وان هذه الحقيقة لا يمكن انكارها ولا التشكيك فيها بعد ثبوتها في الآيات والروايات . فلو ان تاجرا

---

(١)الفرقان اية ٢٣
(٢)ميزان الحكمة ص ٤١٠
(٣)نفس المصدر
(٤)نفس المصدر

كبيرا قد قضى عمره في العمل والجهد والمثابرة حتى جمع الثروة الطائلة والأموال الهائلة التي ملئت امواله بنوك العالم وكان يتصور هذا التاجر المسكين الثري ان ما يملكه من الثروة لكفيلة ان تؤمّن له السعادة والرفاهة طوال عمره وفي لحظة من الغفلة واللهو وعدم المبالاة في تجارته يخسر كل شيء ويفقد ما جمعه بل علاوة على ذلك نجده قد غرق بالديون التي تقصم الظهر ،ان هذه الخسارة الكبيرة لها وقعة وصدمة على نفس الانسان ولذا نسمع ان البعض من هؤلاء يعمد اما الى الانتحار او تضربه سكتة قلبية او جلطة دماغية فيموت كمدا ولوعة لشدة ما ألم به .

ولكن مع هذه التبعات من الكمد والاسى والحزن التي نالت صاحبنا التاجر ولكنه ما دام في عالم الإمكان قد يوّفق لتعويض ما أصابه من الخسران.

ولكن ان الاسى واللوعة حينما يخسر الفرد رأسه ماله وهو العمل الصالح ويحبطه بسبب عدم التحصن بالورع والخوف من الله سبحانه مع انه في ذلك اليوم في امس الحاجة الى الزاد .[٥٦]

ذلك العالم هو يوم بروز البضائع والسلع الثمينة فمن حفظ بضاعته من التلف وجاء بها مصونة محفوظة كان له الامن من فزع يومئذ قال تعالى (مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آَمِنُونَ.(١)

فان من المهم والضروري الإتيان بالأعمال الصالحة ولكن الأهم هو المجيء بها وذلك بالحفاظ عليها من الإحباط عن علي (عليه السلام) : إياك والغيبة ، فإنها تمقتك إلى الله والناس وتحبط أجرك.(٢)

---

(١)النمل آية ٨٩

(٢)غرر الحكم ص ١٤٣

اذن: بعد هذه الحقائق الثابتة والتي لا تقبل النكران يلزم على المؤمن ان يعيش حالة اليقظة والحذر فالغيبة وباقي مساوئ الأخلاق هي مثابة أمراض قاتلة تتلف حصاد السينين وتجعل العمل الصالح كالرماد الذي يتطاير في مهب الرياح .

وان ينأى بنفسه ان تنال وتتعرض لحرمة المؤمن بل ان يكون هو المدافع عنها وان يفر من كل مكان يكون موجبا للوقوع في آفة الغيبة مهما واجه من كلام لاذع واستفزاز جارح ، فالكلام الجارح خير وصدقة له من مجالسة البطالين فعن الإمام علي (عليه السلام): لا يسوءنك ما يقول الناس فيك، فإنه إن كان كما يقولون كان ذنبا عجلت عقوبته، وإن كان على خلاف ما قالوا كانت حسنة لم تعملها .(١)

وان الفرار من تلكم المجالس الشيطانية هي من أفضل العبادات والطاعات عند الله تعالى لصون القلب من ان يتلوث برذيلة الغيبة وخشية التعرض لسخط الله سبحانه ومن جهة اخرى الخوف على أعماله الصالحة من الاحباط .[٥٧]

المطلب الثالث: الاستخفاف بالغيبة

ان عكوف كثير من الناس في ممارسة الغيبة ومع عدم المبالاة بفاجعة الذنب وعدم الاحساس بالحرج ومع فقدان تألم الضمير يكشف لنا ومن دون شك الاستخفاف الجلي في عملية الغيبة، فالمغتِاب لم يخش الله سبحانه ولم يكترث بالآثار الوضعية المكلفة والخطيرة العاجلة والآجلة ،

---

(١) غرر الحكم ص ٣٣١

ولم يرع ذمام الاخوة الايمانية المعهودة في عهدة المؤمنين في الحفاظ عليها وصيانتها من البغي .

ان الغيبة لا تكلف مريدها جهدا وعناء فهي سلسة وسهلة التحقق فبكلمة او بهمزة او بإشارة يصدق على جميعها عنوان الغيبة ولكن مع سهولتها فهي تنطوي على آثار جسيمة وعواقب اليمة ، ولكن للأسف مع ما تحمل بواطنها من نيران مسعرة ترى الاستخفاف واللامبالاة بإلقاء النفس في تلك المهالك المفجعة والمواقف المخيفة كيف يرضى عاقل ان يجعل عرض أخيه المؤمن مرمى للطعن والهتك لأجل المسامرة مع أبناء الدنيا ؟ او لأجل التشفي وإسقاطه من اعين الاخرين ؟؟.عن علي (عليه السلام): العاقل من صان لسانه عن الغيبة.!(١) وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام): رب مغرور مفتون يصبح لاهيا ضاحكا يأكل ويشرب، وهو لا يدري لعله قد سبقت له من الله سخطة يصلى بها نار جهنم .[٥٨] (٢)

المطلب الرابع : الغيبة آية العاجز والمنافق

ان من أخلاق وصفات المؤمن المباركة هو تحلّيه بالإقدام والشجاعة والوضوح والصراحة مع نوعه ، بخلاف ما يقابلها كالجبن والنفاق والمراوغة، فالشرائع تحرمها والطباع تنفر منها والعاقل لا يرضى ان يتصف او يُوصف بها .

---

(١)غرر الحكم ص ١٢

(٢)ميزان الحكمة ج ٧ ص ٢٨٢

وفي نفس الوقت توجد بعض الأمراض القلبية والأخلاقية هي بدورها تكشف وتبين لنا ان جملة من الناس مصابون بأمراض وعلل أُخرى لوجود بعض العلائق والارتباط فيما بين الامراض الاخلاقية، فمن تلك الأمراض داء الغيبة. فالغيبة كاشفة ان المغتاب مصاب بالعجز والنفاق فالذي يفقد الشجاعة والإقدام في مصارحة المغتاب -بالفتح –لا تسعه الحيلة إلا بالتجهم على أخيه المؤمن في حال غيبته كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام (الغيبةجهد العاجز).(١)

فان المصارحة والمكاشفة بين المؤمنين علاج ناجع في حل كثير من المشاكل والخلافات فيما بينهم بخلاف لجوء كلاهما او أحدهما بطعن الاخر بظهر الغيب بما لا يرضى من القول فهذا هو الممنوع والمحظور.[٥٩]

وهذا المرض أي الغيبة يكشف ايضا ان المغتاب مصاب بداء النفاق وذلك بإظهار المودة والمحبة والاحترام والإطراء في حال حضور أخيه المؤمن ولكن ما ان يغيب اخوه عن ناظره أخذ بأكل لحمه بما لا يرضى من القول قال أمير المؤمنين عليه السلام (الغيبة آية المنافق) (٢) وعن الإمام الباقر (عليه السلام): بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطري أخاه شاهدا ويأكله غائبا، إن اعطي حسده ، وإن ابتلي خذله.(٣)

---

(١)غرر الحكم ص ١٤٣
(٢)نفس المصدر
(٣)ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٤٥٥

اذن: بعد هذه الوقفة مختصرة على الآثار الوضعية الخطيرة على عاقبة المؤمن في دنياه وآخرته ، وأثارها السلبية المهلكة على المجتمع فعلى المؤمن ان يسعى سعيه في صون لسانه من العقر في أعراض المؤمنين والالتزام بالورع عن كشف عوراتهم فان التورع عن أكل لحوم المؤمنين من أحب العبادات الى الله تعالى فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ترك الغيبة أحب إلى الله عز وجل من عشرة آلاف ركعة تطوعا).(١)

المطلب الخامس: الغيبة إدام أهل النار

ان الآية الكريمة التي أشارت الى حرمة الغيبة وهو قوله تعالى (أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) تبين ان عملية الغيبة تتكون من آكل ومأكول فالمغتِاب هو آكل للحوم الناس في غيبتهم وهناك الميتة وهو المأكول لحمه الذي أصبح ضحية الخمش والجرح من قبل المغتاب .[٦٠]

وان المتتبع والواقف على جملة من الآيات الكريمة والروايات الشريفة التي تناولت المعاصي وعقوباتها سيلاحظ التناسب والتشابه بين نوع المعصية ونوع العقوبة فعلى سبيل المثال فيما يخص موضوع الغيبة ان المغتاب – بالكسر – وهو الجاني فهو آكل لحم أخيه ميتا والمغتاب – بالفتح – هو الضحية المأكول ، فالعقوبة الاخروية التي وردت في الأحاديث الشريفة التي تنال المغتاب تماثل وتشابه هذا الفعل الشنيع والقبيح وهي ان يكون الآكل مأكولاً وقوتاً وإداماً ولكن ليس لأهل النار بل لكلاب اهل النار ، وسنورد ان شاء الله تعالى جملة من الاحاديث الشريفة التي تشير الى

---

(١) الحكم ص ١٢.

هذه الحقيقة حتى يتسنى للقارئ الوقوف على مدى وحجم الفاجعة التي تنتظر المغتاب يوم الحساب ،وهو سادر في غيّه، وقابع في جهله وغير مكترث بجريرتهوالا فالمؤمن العاقل يترفع ويتنزه وينأى بنفسه عن مستنقع الجهالات كما أشار الى ذلك الإمام علي (عليه السلام): العاقل من صان لسانه عن الغيبة.(١) وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له: ما العقل ؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان.(١) فمن الأحاديث الشريفة : فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس ، يخمشون وجوههم وصدورهم ! فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضه.(٢) .[٦١]

- وعن الامام علي (عليه السلام): الغيبة قوت كلاب النار.(٣) وعن الإمام الحسين (عليه السلام) لرجل اغتاب عنده رجلا : يا هذا كف عن الغيبة ، فإنها إدام كلاب النار (٤). وعن الإمام الصادق (عليه السلام): قال رجل لعلي بن الحسين (عليهما السلام) : إن فلانا ينسبك إلى أنك ضال مبتدع ، فقال له علي بن الحسين (عليهما السلام) : ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ، ولا أديت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه !... إياك والغيبة فإنها إدام كلاب النار ، واعلم أن من أكثر من ذكر عيوب الناس شهد عليه الإكثار أنه إنما يطلبها بقدر ما فيه.(٥):

---

(١)وسائل الشيعة ج ١٥ ص ١٩
(٢)ميزان الحكمة ج ٧ ص ٤٠٦
(٣)غرر الحكم ص ١٤٣
(٤)ميزان الحكمة ص ٤٠٨
(٥)مشكاة الانوار ص ٢٤٨

وعنه (عليه السلام): إياك والغيبة ، فإنها إدام كلاب النار. (١) عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): - ما سمع رجلا يغتاب آخر إن لكل شيء إداما، وإدام كلاب الناس الغيبة.(٢) [٦٢]

(٦)ميزان الحكمة ج ٧ ص ٤٠٨
(٧)نفس المصدر

المبحث الثامن: مرض الرياء

المطلب الأول: إظهار العمل الصالح للناس

المطلب الثاني: المرائي عند المحشر

مرض الرياء

الرياء: هو إظهار العمل الصالح والخُلق الحميد والعقيدة الحقة امام الاخرين لغرض مقاصد دنيوية ويسمى بالشرك الخفي مقابل الشرك الجلي وهو الشرك بالله تعالى.

ان المرائي يسعى لإظهار كل جميل وحسن امام الناس كإبراز الخشوع والخشية في عبادته والجميل في أخلاقه كالورع والتقوى والصدق والثبات في عقائده بأنه راضٍ بقضاء الله تعالى فيظهر الجميل وباطنه عليل قبيح.

والمرائي في سلوكه هذا القبيح غايات وأهداف كثيرة منها ليُعرف بين الناس بالإصلاح والأخلاق الحسنة فهو يسعى لجلب السمعة الحسنة والطيبة لنفسه وكسب مودتهم من خلال الظهور بالمسلك الديني الجميل ومنها للحصول على منصب او وظيفة معينة او حقوق شرعية وما شابه ذلك.

ان الواقف على احوال المرائي يتبين له انه لولا وجود هذه المقاصد الدنيوية التي يتحرك لأجلها ويسعى لاقتناصها لانتفت كل الأحوال والعوارض الانية التي صنعها ليخدع الناس بها.

ولذا ترى الخضوع والخشوع في العبادة منتفية حينما يختلي بنفسه ويكون بمفرده من غير رقيب!! وكذا بهدوئه وصمته وأخلاقه الحسنة التي كادت تنعدم مع افراد اسرته لأنهم ليسوا معبرا وسلمّا الى مقاصده فتراه مع اهله يزأر زئير الأسد ولا يجابهه أحد خوفا من بطشه. عن الإمام علي (عليه السلام): للمرائي أربع علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا

كان ﱠ الناس، ويزيد ﱠ العمل إذا أثني عليه ، وينقص منه إذا لم يثن عليه.(١)

ان هذا التلوّن والتصنّع ﱠ أحوال المرائي هو ناشئ من وجود خرق ﱠ المنظومة العقائدية، والإيمان غير متجذر ومستقر ﱠ أعماق قلبه فهو كالزبد الذي يطفو على سطح الماء فسرعان ما يذهب جفاء عن الإمام علي (عليه السلام): فمن الإيمان ما يكون ثابتا مستقرا ﱠ القلوب ، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور (إلى أجل معلوم. (٢) وعنه (عليه السلام): من كان فعله لقوله موافقا فأثبت له الشهادة بالنجاة ، ومن لم يكن فعله لقوله موافقا .فإنما ذلك مستودع.(٣).[٦٣]

فما أقبح بالمرء ان يقف بين يدي جبار السموات والأرض، المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهو يظهر النُسُك والتواضع ليس لرب الارباب انما لعبد فقير مسكين لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولتحصيل بعض الفضلات والحوائج الدنيوية من ابناء نوعه فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): يا بن مسعود إياك أن تظهر من نفسك الخشوع والتواضع للآدميين وأنت فيما بينك وبين ربك مصر على المعاصي والذنوب يقول اللّه تعالى: * (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور).(٤) وعنه (صلى اللّه عليه وآله): يا أبا ذر اتق اللّه ولا تر الناس أنك تخشى اللّه فيكرموك وقلبك فاجر.(٥)

---

(١)ميزان الحكمة ص ٤٠
(٢)نفس المصدر ص ٢٠٥
(٣)نفس المصدر
(٤)ميزان الحكمة ج ٤ ص ١
(٥)نفس المصدر

وما أقبح بالرجل ان تكون بوصلة قلبه منشدة ومنجذبة لمخلوق مثله رغبة لما عنده من متع الحياة! وما اقبح بالمرء ان يجعل لسانه يمطر كلاما معسولا طلبا بما لديه!! غير عابئ بالذلة والمهانة التي يبديها ويظهرها لأجل الحصول على الرغبات الفانية! ومعرّضاً نفسه الى المقت والسخط الإلهي بجعله للّه شريكا في عمله ! فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فإذا صعد بحسناته يقول اللّه عز وجل اجعلوها في سجين إنه ليس إياي أراد بها. (١) وعنه (صلى اللّه عليه وآله): وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجا به... فيطؤون الحجب كلها حتى يقوموا بين يدي اللّه سبحانه فيشهدوا له بعمل صالح ودعاء فيقول اللّه تعالى : أنتم حفظة عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه إنه لم يردني بهذا العمل عليه لعنتي.(٢)

ثم الحوائج مهما عظمت لا يمكن ان تنال وتُعطى إلا يشاء اللّه تعالى فهو المعطي والمانع وبيده ملكوت السماوات والأرض فالذرة في دقتها والتي تعتبر أصغر جزءً من العنصر لا يمكن سوقها من مكان للأخر إلا بمشيئة اللّه سبحانه وإرادته، فكيف يلتجئ المخلوق الضعيف الى مثله رغبة وطمعا بما لديه من فضلات الدنيا ويعرض عن بيده العطاء ويداه مبسوطتان بالخير والفضل والذي يملك زمام ومقادير النعم المادية والمعنوية ؟؟[٦٤]

---

(١)الكافي ج ٢ص ٢٩٤
(٢)مستدرك سفينة البحار ١٥٣ج ١

المطلب الأول: اظهار العمل الصالح للناس

وهناك جملة من الناس يأتون بالأعمال الصالحة الكثيرة من صلاة الليل والنفقة والزيارات والصلاة في المساجد وإقامة مجالس العزاء على مصائب اهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) ولم يقصدوا بأعمالهم الرياء كطلب السمعة او منفعة دنيوية عند الناس ولكنهم لضعف اراداتهم وقلة معرفتهم يستسلمون لضغط النفس الأمارة بالسوء وساوس الشيطان في ابداء أعمالهم الحسنة أما تلويحا او تصريحا بغرض استمالة واستدرار قلوب ووجوه الناس إليهم .

وفي زماننا هذا بسبب القفزة العلمية وكثرة القنوات التواصل الاجتماعي فالصور المنشورة كافية لإظهار الأعمال الحسنة للناس لمن يقصد الرياء ويطلب السمعة.

احبتي في الله: العمل الصالح هو اغلى من الجواهر الثمينة التي تحفظ وتصان في اماكن سرية خشية ان تمتد لها يد السُراق، فالعمل الصالح هو زاد العبد الذي بذل عصارة جهده الطويل في دار الدنيا فيجب المحافظة عليه من التلف والضياع وان خير وسيلة لحفظه هو كتمان سره أمام أي مخلوق.

المطلب الثاني: المرائي عند المحشر

ان من اشد الامور عقوبة وآلاماً على النفس ان يفتضح المرء على رؤوس الإشهاد فُتكتشف حقيقة باطنه وقبيح سريرته السيئة التي كان يخفيها عن الناس، وان ظاهره الجميل من النُسُك والخشوع والأخلاق الظاهرية

كانت قناعا مزيفا يخدع بها المساكين وذوي القلوب الطيبة، فاليوم لا مجال لتخفّي والمراوغة ، فاليوم (يوم تبلى السرائر) (١)

فهؤلاء الذين سعيت بعملك الجميل الظاهري لأجلهم والذين جعلتهم شريكا في نيتك وعملك لن ينفعوك ولن يدفعوا عنك ضرا فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن المرائي ينادى يوم القيامة: يا فاجر! يا غادر! يا مرائي! ضل عملك، وبطل أجرك، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له.(٢) ٦٥

وعنه (صلى الله عليه وآله) : يا بن مسعود ! إذا عملت عملا من البر وأنت تريد بذلك غير الله فلا ترج بذلك منه ثوابا فإنه يقول (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا).(٣)

ان المؤمن مع كثرة أعماله الصالحة والخالصة لله وحده تراه خائفا مشفقا من سوء العاقبة او من إحباط العمل او من خشية عدم قبول العمل كما عبرت الآية الكريمة (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) (٤) • وكذا على لسان المؤمنين وهم يتنعمون في الجنان (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) ...وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ(٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا

(١) الطارق اية ٩.
(٢)سنن النبي الأكرم ج ١ ص
(٣) ميزان الحكمة ج ٤ ص ١٥
(٤) المؤمنون اية ٦

كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ).(١)

ووصف امير المؤمنين عليه السلام المتقين بقوله : يعمل الأعمال الصّالحة وهو على وجل . يمسي وهمّه الشّكر، ويصبح و همّه الذّكر. يبيت حذرا ويصبح فرحا. حذرا لما حذر من الغفلة. وفرحا بما أصاب من الفضل والرّحمة.(٢) .

هذا هو حال المؤمن أمام ربه فالخوف والوجل من سوء العاقبة لا يفارق خاطره مع سعيه الحثيث في أعمال البر والصلاح.[٦٦]

فكيف بالمرء الذي يقدم على ربه وقد جعل له شريكا في أعماله؟ وبأي وجه وحال سيلاقي المرائي ربه؟ وهل لهؤلاء الفقراء والمساكين الذين جعلهم شركاء في قصده ، يغنون عنه في درأ اهوال وعذاب يوم القيامة ؟ فان الانسان ما دام متنعم بنعمة الوجود يمكنه تدارك ما مضى بالتوبة والاستغفار وإخلاص النية والعمل للّه وحده قبل حلول الأجل .

● حقيقة ان جملة من الناس يجهلون فظاعة هذه النيات والمقاصد المشوبة بالغيرية والإشراك والتي تحبط الأعمال وتجعل العبد صغيرا ووضيعاً عند ربه ولكن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله) : يبكي ألما وحزنا وشفقة على هذه الامة من هذا المرض العضال فقد ورد عنه (صلى اللّه عليه وآله) وقد رآه شداد بن أوس في حال البكاء فسأله عما يبكيه -: إني تخوفت على امتي الشرك ، أما إنهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا

---

(٤)الطور اية ٢٦

(٢)نهج البلاغة خطبة المتقين

ولكنهم يراءون بأعمالهم.(١) وعنه (صلى الله عليه وآله): إن النار وأهلها يعجون من أهل الرياء فقيل: يا رسول الله وكيف تعج النار ؟ ! قال : من حر النار التي يعذبون بها) (٢) وعنه (صلى الله عليه وآله): ويل للذين يجتلبون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من لين ألسنتهم، كلامهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى: أبي يغترون ؟.(٣) .[٦٧]

وعنه صلى الله عليه وآله: إن أول من يدعي يوم القيامة رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال ، فيقول الله عز وجل للقاري : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ فيقول: بلى يا رب فيقول : ما عملت فيما عملت فيقول : يا رب قمت في آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله: كذبت وتقول الملائكة : كذبت ، ويقول الله تعالى : إنما أردت أن يقال : فلان قارئ ، فقد قيل ذلك. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى : ألم اوسع عليك المال حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ فيقول: بلى يا رب فيقول : فما عملت بما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله: كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، ويقول الله سبحانه : بل أردت أن يقال : فلان جواد ، وقد قيل ذلك ، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله: ما فعلت ؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت [ويقول الله سبحانه] بل أدرت

---

(١)ميزان الحكمة ج ٤ ص

(٢)اعلام الدين ص ١٨

(٣) نفس المصدر السابق

أن يقال : فلان شجاع جرئ فقد قيل ذلك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اولئك خلق الله تسعر بهم نار جهنم(٦٨١)

---

(١) نفس المصدر

المبحث التاسع: كثرة ذكر الموت

الحرص على العمر

كثرة ذكر الموت

ان المداومة على ذكر الموت وما بعد الموت من اهم العوامل المؤثرة في جلاء وصقل القلب من الرين والغفلة وهو خير معين في ردع النفس عن اقتحام المحرمات باعتبار ميل النفس الى الشهوات واللذات وان كثرة ذكر الموت ينير العقل ويحيي القلب فيهدم اللذات ويضعف النفس عن الميول لمتع الحياة وكذلك كثرة ذكر الموت فهو خير سبيل لمحبة الله سبحانه لعبده ولذا ورد عن رسولنا الكريم(صلى الله عليه واله): أكثروا من ذكر هادم اللذات ، فقيل : يا رسول الله فما هادم اللذات ؟ قال: الموت ، فإن أكيس المؤمنين أكثرهم ذكرا للموت ، وأشدهم له استعدادا) (١) وعنه (صلى الله عليه وآله): من أكثر ذكر الموت أحبه الله:[٦٩](٢)

ان طالب الدنيا منهوم لا يشبع وساع لا ينصب، وجذوة الحرص على نيل متع الحياة الدنيوية لا تبرد لهيبها وطول الأمل في البقاء لا ينقطع امده، والإحساس بالظمأ والوله يزداد شغفا وترّسخا في النفس كلما طال به العمرُ، فلا يشعر بالملل والكلل والشبع فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا، فأما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن ، وأما طالب الدنيا فيتمادى في الطغيان) (٣) وعنه صلى الله عليه وآله قال : يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان : الحرص على المال ، والحرص على العمر . (٤)

---

(١)سنن النبي الاكرم ١٦
(٢)وسائل الشيعة ج ٢٥ ص ٢٦٤
(٣)ميزان الحكمة ج ٧ ص ٦٥
(٤)نفس المصدر ج ١١ ص ٤٢٤

ولذا يأتي دور وفاعلية كثرة ذكر الموت لكي يزيل الصدأ والغبار الغليظ التي تعلّقَ على القلب فيطّهره من تلوثه ومرضه ويرفع الغطاء والغشاء على عين القلب ليرى بواطن الدنيا الكاذبة على حقيقتها وأنها لتأخذه بزمامها وحبائلها لتلقيه إلى دركات الجحيم فعن النبي الأكرم (صلى اللّه عليه وآله): : إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء قيل : وما جلاؤها ؟ قال: كثرة ذكر الموت ، وتلاوة القرآن.(١) ٧٠

ولذا كثرة ذكر الموت هي إعادة الحساب ، و لملمة الأوراق ، والقضاء على التخدير والسبات الحاصل نتيجة الانكباب على الدنيا والغفلة عن الاخرة قال تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.(٢)

ان الآية المباركة تريد تحريك وتنشيط فكر المؤمن ليتفكر ويتدبر في نفسه ويسألها ماذا قدمتِ واعدتِ لأخرتِك يوم فقركِ وفاقتك؟ والإعداد والاستعداد انما يتحقق بالتقوى والعمل الصالح، والإعراض عن التقوى هو نسيان للّه تعالى وبالأحرى هو نسيان النفس، فالذي لا يسعى بالتزود بالعمل الصالح ليوم فاقته ويبقى يعيش النسيان والإهمال لتلك المواقف الشديدة فقد زج بنفسه في زمرة المنسيين في يوم القيامة قال تعالى (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)(٣)

---

(١)نفس المصدر ج ٨ ص ٣٤٠
(٢)الحشر اية ١٩
(٣)الجاثية اية ٣٤

وقال سبحانه (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.(١) [٧١]

فهذا النسيان حقيقته ان الفرد خرج وفسق عن نواة الشريعة وتعاليمها، ودوافع الفسق وعلله ناتجة بسبب الإقبال الى الدنيا وزخارفها الخداعة وان من اهم الوسائل والعوامل للإيقاظ النفس، وإشعاع النور في القلب الغافل وإرجاعه الى جادة الصواب التي لا اعوجاج لها هو كثرة ذكر الموت وأحواله وما بعد الموت.

فإذن: فكثرة ذكر الموت هو بمثابة أجراس تحذير وتنبيه للغافل والضال كالذي يمشي في ليل مظلم بغير إنارة ودليل وقد اضلّ الطريق وأمامه منحدر خطير لا سبيل له من النجاة إنْ استمر بالمسير ثم يسمع اجراسَ تحذير تنذره بالهلاك فيتقهقر ويسلك طريق النجاة فيشرق له نورٌ من البعيد ذلك النور هو نور النجاة فتنتابه النشوة والسعادة والفرح لأنه صان نفسه من الهلكة وانجاها من السقوط في الردى.

نعم فذكر الموت له فاعلية كبيرة في التأثير لمن ألقى سمعه ، وفتح قلبه ، وخشي ربه وخاف من فجأة الموت، وشدة صولته ، وعظيم نزوله ومورده ، لا يفّرق بين الشريف والوضيع ، وبين الصغير والكبير، وبين المعافى والمريض كلهم عنده على حد سواء ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن بكر حين قلدّه مصر قال له : ... فَاحْذَرُوا عِبَادَ اَللَّهِ اَلْمَوْتَ وَقُرْبَهُ وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَخَطْبٍ جَلِيلٍ بِخَيْرٍ لاَ يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً أَوْ شَرٍّ لاَ يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى اَلجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا وَمَنْ

(١)السجدة اية ١٤

أَقْرَبُ إِلَى اَلنَّارِ مِنْ عَامِلِهَا وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ اَلْمَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَانْ فَرَرْتمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ اَلْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَ اَلدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَحرُّهَا شَدِيدٌ وَعذَابُهَا جَدِيدٌ دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ وَلاَ تُسْمَعُ فِيهَا دعْوَةٌ وَ لاَ تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اَللَّهِ وأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا فَإِنَّ اَلْعَبْدَ إنمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْهُ وَإِنَّ أَحْسَنَ اَلنَّاسِ ظَنّاً بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلَّهِ.(١) ٧٢

من المؤسف ان جملة من أهل الدنيا يتطيرون من الموت وذكره فإذا ما قام فرد بتذكيرهم بالموت والقبر وظلمته ووحشته حتى قطعوا حديثه ودعوه بتغيير موضوعه او كلامه او لوّوا وجوههم عنه، لا يريدون ان يوقظهم من احلامهم الكاذبة ودنياهم الخادعة هؤلاء يتطيرون ويخافون من ذكر الموت فكيف اذا نزل بساحتهم وهم في غفلة معرضون؟ وكيف بهم اذا حلّ بواديهم وهم لم يستعدوا ويعدوا له مؤونته وعدته؟ اما المؤمن الذي كان الموت شغله الشاغل خشية ان يرميه بسهمه الموتور في أية لحظة فيورده الهلكة فقد شمّر عن ساعديه وراح يعد له عدته ويحمل له زاده لعلمه النوراني بأنه مقبل على سفر طويل محفوفا بالمخاطر والعقبات ينقطع فيه العمل ولا يفيد فيه الندم قال تعالى(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ) (٢) عن الإمام علي (عليه السلام) – من وصاياه لابنه الحسن (عليه السلام) –: أكثر ذكر الآخرة، وما فيها من النعيم والعذاب

(١)نهج البلاغة
(٢)البقرة اية ١٩٧

الأليم فإن ذلك يزهدك في الدنيا ويصغرها عندك، وقد نبأك الله عنها، ونعت لك نفسه.(١)

اذن: فذكر الموت يعطي حافزا للتذكير والتفكير بأن ينظر الإنسان بأنه سيقف بين يدي الله تعالى ويحاسب على ما قدّم وأخر وان الموت هو الفاصل والمائز أما سعادة أبدية او شقوة ابدية فهذا التذكير والمحاسبة يكون له عامل محركية وعامل زجرية امّا عنصر المحركية فيجعله يتحرك وينبعث نحو الإتيان بالأعمال الصالحة التي تمّهد وتعّبد له آخرته والتي اليها منقلبه وفيها مستقره ، وعنصر الامساكية والزجرية يجعله يمسك وينزجر عن الاعمال السيئة التي تتسبب له الوقوع في الهاوية ودركاتها فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : الموت الموت ! ألا ولابد من الموت، جاء الموت بما فيه ، جاء بالروح والراحة والكرة المباركة إلى جنة عالية لأهل دار الخلود ، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم ، وجاء الموت بما فيه بالشقوة والندامة وبالكرة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور ، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم .[٧٣](٢)

الحرص على العمر

ان الحرص والبخل على العمر يعدان من مكارم الاخلاق اذا ما كان الهدف اخروياً والنية منصبة على بذل الجهد في تحصيل الزاد ليوم المعاد فيعد الشُحّ على العمر وعدم هدره في التفاهات من الكمال المطلوب فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك.(٣)

---

(١)تحف العقول ص ١٧
(٢)ميزان الحكمة ج ٩ ص ٣٢٧
(٣)أعلام الدين ج ١٣ ص ٤

وعن علي (عليه السلام): إن المغبون من غبن عمره، وإن المغبوط من أنفذ عمره في طاعة ربه.(٧٤١)

فان عمر الانسان هو رأس ماله ويجب عليه ان يربح فلا مجال للخسارة لاستحالة التعويض وطول العمر مجهول مدته والجهل بالعمر له فوائد **نذكر فائدتين**:

الفائدة الاولى: هو الحرص على أوقات العمر من التلف والهدر والتفريط فيما لا يجب والعكس هو المطلوب وهو السعي فيما يجب وينبغي.

الفائدة الثانية: وان الجهل بسنين العمر يجعل الفرد يعيش الخوف والقلق من فجأة الموت لأنه اذا نزل الموت انقطع العمر وانقطع تبعا لذلك التزود والسعي فالمطلوب التزود بالعمل الصالح خشية فجأة الموت.

فعن الإمام الكاظم (عليه السلام): إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ومطلوبة ، والآخرة طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته. (٢)

ان اتلاف العمر في امور لا تثمر في التزود للآخرة بالعمل الصالح لهي من أشد الحسرات يوم عرض الأعمال، ومن العجيب ما نسمع تداوله على ألسنة البعض مقولة (نريد قتل الوقت لكثرة الفراغ) هؤلاء واقعا هم يقتلون أنفسهم بهدر أعمارهم في اللهو واللغو ، فهل اعُطي عمر الانسان لكي يتلفه ويهدره في التفاهات ؟ وهل جُعلت الدنيا هي الغاية والهدف

---

(١)ميزان الحكمة ج ٧ ص ٢٣٦

(٢)تحف العقول ص ٩٦.

حتى لا نهتم ولا نبالي بالإتلاف والتفريط ؟ فهذه العقيدة المريضة تكشف عن الغفلة والسبات فعن رسول الله صلى الله عليه واله (الناس نيام ان ماتوا انتبهوا).(١)

ان كثرة الفراغ الذي يدّعيه البعض انما هو نتيجة الانكباب و الإخلاد الى الدنيا ، ومن اللطيف وما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) – فيمن طلب الصيد لاهيا –: وإن المؤمن لفي شغل عن ذلك ، شغله طلب الآخرة عن الملاهي – إلى أن قال : – وإن المؤمن عن جميع ذلك لفي شغل ، ماله وللملاهي ؟ ! فإن الملاهي تورث قساوة القلب وتورث النفاق.٧٥(٢)

ومن كلام امير المؤمنين (عليه السلام) ردا على قول عمر بن العاص : عجبا لابن النابغة ! يزعم لأهل الشام أني في دعابة =، وأني امرؤ تلعابة، اعافس وأمارس! لقد قال باطلا ونطق آثما.. أما والله إنه ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة.(٣)

نعم ان المؤمن ليمنعه من اللعب ذكرُ الموت ولذا يسّخر عمره وطاقته في طاعة الله سبحانه وذلك بجعل الاخرة نصب عينيه.

وان الفوز بلقاء الله تعالى ونعيم الاخرة يحتاج الى تفريغ النفس والسعي الحثيث والجهد الكبير قال تعالى(وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا .(٤)

---

(١) عوالي اللآلي ج ٤ ص ٢٦
(٢)ميزان الحكمة ج ٤ص ٢٨٠٣
(٣)نهج البلاغة
(٤)الإسراء آية ١٩

فالطالب الذي ينتظره امتحان صعب وعسير فان طموحه ورغبته في النجاح وحصوله على الشهادة العالية لا يدعان له مجالا وفراغا للعب واللهو لعلمه ان اللعب واللهو هو تفريط ومضيعة للهدف وحرمانه من تحصيل الشهادة.

إذن: فكثرة ذكر الموت تجعل المؤمن حريصا على أيامه وأوقاته لأنهما رأس ماله والتفريط فيهما هو تفريط باخرته ونجاته وسعادته.

المبحث العاشر: تلاوة القرآن

واقع المسلمين اليوم مع القران

تلاوة القرآن

من العوامل الضرورية والمهمة في المسيرة التكاملية للإنسان المؤمن وقوسه الصعودي والعروجي الى عالم الروح والمعنى هو الترنم بكتاب الله وربيع القلب ونسيمه الفواح فهو المجلي لصدأ القلب ورينه القابع على أنفاس القلب بسبب الغفلة والانشغال بالحياة الدنيا فعن رسول الله (صلى الله عليه واله): ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل : يا رسول الله فما جلاؤها ؟ قال: قراءة القرآن وذكر الموت، اقرؤا القرآن أو ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا.(١) ٧٦

ان للقران الكريم اهلا قد ذابوا في جماله وعذوبته وعرفوا ان ربهم قد تجلى في كتابه فهم يأنسون بكلامه ويتلذذون بجميل خطابه.

يصف امير المؤمنين عليه السلام اهل التقوى بقوله: اما اَللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لأَجْزَاءِ؟ اَلْقُرْآنِ؟ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَاذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ).(٢)

فقد خسر من حرم نفسه من التذوق من عذوبته ولطيف نسيمه، ومغبون من زهد في معارفه وتعاليمه وأخلاقه وآدابه الى غيره ، واستخّف بمكانته

---

(١) ميزان الحكمة ج ٨ ص 200

(٢) نهج البلاغة خطبة المتقين

وعظمته من طلبه لأجل الرزق والمعاش، او لاستدرار وجوه الناس إليه ، او نيل المنزلة والحظوة عند الملوك والأمراء ومن لف لفيفهم من اهل الدنيا.

فالدرة الثمينة والنفيسة تارة تقع بيد من يعرف قدرها وثمنها ويعلم انها تدّر عليه الغنى والسعة المعنوي.. وأخرى تقع بيد الطفل او المجنون اللذان لا يميزان بين الدرة والحصة لا هم لهما سوى الاستمتاع واللعب بهما.

فالقرآن الكريم درة لا كالدرر فهو درة من عالم الغيب والملكوت لا تعوض بالأثمان ولا يخفق بريقها تقادمُ الايام، من جعله أمامه هداه الى الحق والصراط القويم، وأخرجه من ظلمات الفتن وأعانه على تكالب اهل الدنيا ومحنها، وجلى به من قسوة القلوب وامراض الصدور قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ).(١) ومن جعله خلفه خسر الدنيا والآخرة الا ذلك هو الخسران المبين .[٧٧]

ومن هنا تعلم أخي في الله: منازل وأقدار الناس حسب تعاطيهم مع كتاب ربهم (كل يعمل على شاكلته) (٢)

فهناك من يتعاطى مع القرآن بالتبرك لا غير وآخر بالاستخارة وغيره للثواب وآخر لجلب الرزق.. وغيرها من الأغراض والمساعي والنوايا الكثيرة.

ولكن المساعي الضرورية التي ينبغي على المؤمن الكيس ان يسعى لها من خلال وقوفه على كتاب الله العزيز هي ازالة غبار الغفلة عن القلب وإجلاء

(١)يونس اية ٥٧
(٢)الإسراء آية ٨٤

الصدأ عن حريمه لان القلوب بسبب طبيعة الحياة وعالم الكثرة تضيف الرين على صفحات القلب مما تسبب الفتور والإعراض عن اللّه تعالى والآخرة.

فتلاوة القران الكريم تعيد صقل القلب وتخرجه من عالم الماديات الصرفة الى عالم الروحيات وتزوده بالطاقة المعنوية التي تدفع العبد نحو العمل الصالح والاستعداد للموت والحذر من دقة الحساب، وتفيض ايضا التلاوة القرآنية الواعية المتدبرة المتفاعلة مع روح القارئ المعرفة والإيمان وهما بدورهما عادة يمنعان المؤمن في ركوب المعاصي وإتباع الشيطان والوقوع في الضلالات.[٧٨]

يقول تعالى (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (١) ويقول سبحانه (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (٢)

ان من المؤلم حقيقة ان يعزف المسلم عن تلاوة القرآن ويبقى القرآن متروكا مهملا وكأنه تحفة كباقي التحف التي تُعلّق في رفوف المنزل لزينة والجمالية لا غير، وتمر الاشهر والسنون وهو لم يقرأ حرفا منه فأية ظلامة هذه بحق القران الكريم؟ مع العلم ان من يهجر القرآن الكريم وسواء كان الهجر من جهة عدم تلاوته او جهة عدم تعلمه والعمل به إنما يظلم نفسه! كالطبيب الذي يصف الدواء للمريض ويضعه بين يديه ثم يرشده وينصحه بضرورة تناوله ولكن المريض يهمل ويهجر العلاج والدواء

(١) الانفال اية ٢
(٢) الاعراف اية ٢٠١.

غير عابئ بالنتائج الخطيرة فلا إشكال أنه في هذا التصرف انما يعرض نفسه الى الهلاك.

اذن: فالفرد حينما يقبل على كتاب ربه انما يدّر على نفسه الخير والبركة في الدارين والإعراض عنه هو إعراض عن الرحمة والبركة وناهيك عن العواقب والأضرار الناتجة من الهجران ؟ .

والإقبال على كتاب اللّه تعالى ليس هو تفضلا ومنّاً من العبد تجاه ربه فقد يشعر الفرد الذي يقبل على كتاب اللّه انه ممتن ومتفضل لأنه غير هاجر للقران الكريم فيدخله العجب والتدلل على اللّه تعالى وهذا الحال هو ضرب من الجهل وسوء المعرفة ، فالخير راجع للعبد فاللّه تعالى غني عن عبادة العالمين .

واقع المسلمين اليوم مع القران

ومن الواضح ان القرآن الكريم هو عهد اللّه عند خلقه وتوقيره أمر لازم على كل مسلم والتوقير والتعظيم لا شك لا يقتصر في حفظه وتجويده ومعرفة قراءاته كما نراه واضحا في كثير من الدول الاسلامية حيث اهتمت اهتماما كبيرا في إنشاء المدارس والمعاهد لحفظ القرآن وتجويده وتعلّم وقراءاته وعلومه من الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد وغير ذلك من الأمور التي لا ترتقي الى المستوى المطلوب بمكانة القرآن الكريم ودوره الرائد في الأمة الإسلامية في حفظ عزتها وكرامتها ودينها.[٧٩]

فان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) حينما اوصى بتعلم القرآن وتعليمه كقوله (صلى اللّه عليه وآله): خيركم من تعلم القرآن وعلمه.(١)

(١) عوالي اللآلي ج ١ ص ٣٩

مع ذلك فانه صلى الله عليه وآله لم يكتف بذلك التوجيه والتأكيد فقد ورد عنه (صلى الله عليه وآله) – لما سئل عن العلم -: الإنصات، قال: ثم مه ؟ قال: الاستماع له، قال: ثم مه ؟ قال: الحفظ له، قال: ثم مه ؟ قال: العمل به، قال: ثم مه ؟ قال: ثم نشره .(١)

العلم له سُلّم ترتيبي لا مناص من الوصول الى نهايته وهو العمل به ونشره.٨٠

ومن المؤلم انك ترى الدستور الالهي الذي يتعهد بحفظ كرامة المسلمين وعزتهم وهيبتهم في حال العمل به معزولا مقصياً عن شؤون الأمة، وتجد الأحكام الوضعية المستوردة من دول الغرب وثقافتهم هي المعولمة والطاغية في كثير من الدول الإسلامية كالمعاملات الربوية في البنوك وإباحة بيع الخمور في الأسواق والمطارات وانتشار الملاهي وكذا السماح للنظريات الفكرية المادية الماركسية ونظائرها ان تُدّرس في بعض مناهج الجامعات والكليات التي لا يؤمن شرها على الطلبة لقلة اطلاعهم على نظريات الفكر الإسلامي وناهيك على وجود بعض الاحكام الوضعية في المحاكم الاسلامية ، ومن الفواجع الاليمة التي تخالف روح القرآن وتعاليمه وأحكامه هي مداهنة عداء الإسلام وإعانتهم وتوليهم والاستنجاد بهم على شعوبهم ..الخ

ان القرآن الكريم دستور الهي ينظم شؤون الناس في معايشهم وعلاقاتهم وسلوكهم فيما بينهم، ويربطهم بربهم وآخرتهم فعزلُه في زاوية ضيقة عن حياة المسلمين هو الظلم بعينه في حق القران الكريم، فان رسول الله صلى

---

(١) مشكاة الانوار ج ١ ص ١٠

اللّه عليه واله لمّا اوصى الامة بالتمسك بحبل القران وعترته انما لأجل حفظها من الوقوع في التيه والضلال.

والمراد بالتمسك هو التبعية والانصياع في احكامه وتعاليمه ولكي تكون حركة المسلم في جميع شؤون حياته حركة قرآنية، وليس المراد بالتمسك بحبله بجعله في المكتبات ورفوف المنازل والتبرك به المحافل والمناسبات المختلفة.

أفلا يُعد هذا ظلما وهجراناً لكتاب اللّه العزيز؟ وتعدياً على حرمته ومكانته ؟ وتعريض الأمة نفسها لشكوى الرسول يوم القيامة ؟ قال تعالى (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآَنَ مَهْجُورًا .(١))

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : ثلاثة يشكون إلى اللّه عز وجل : مسجد خراب لا يصلي فيه أهله ، وعالم بين جهال ، ومصحف معلق قد وقع عليه غبار ولا يقرأ فيه.(٢)

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : يا سعد تعلموا القرآن فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظرَ إليه الخلق ، والناس صفوف ... ، ثم يجاوز حتى ينتهي إلى رب العزة تبارك وتعالى فيخر تحت العرش ، فيناديه تبارك وتعالى : يا حجتي في الارض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فيرفع رأسه فيقول اللّه تبارك وتعالى : كيف رأيت عبادي فيقول : يا رب منهم من صانني وحافظ علي ولم يضيع شيئا ، ومنهم من ضيعني و استخف بحقي وكذّب وأنا حجتك على

(١)الفرقان اية ٣٠
(٢)الخصال ص ١٤٨.

جميع خلقك ، فيقول الله تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لاثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب ،ولاعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب (١).

ومن المفارقات العجيبة التي نراها في المجتمع الإسلامي هو خروج تظاهرات عديدة في كثير من الدول تنديدا لما يتعرض له القرآن الكريم او شخص الرسول (صلى الله عليه وآله) من اساءة من قبل بعض الجهلة والحاقدين على الاسلام والمسلمين ،وخروجهم هذا نابع من غيرتهم على كتاب ربهم وتمسكا بهويتهم وحبهم لنبيهم (صلوات الله عليه) وأجرهم على ربهم.[٨٢]

ولكن أليس من المفروض ايضا ان يخرج المسلمون تظاهرات على أنفسهم تنديدا بالتقصير الحاصل تجاه كتاب ربهم (والإنسان على نفسه بصيرة) إلا ان يقول المسلمون وحكامّهم اننا غير مقصرين تجاه القرآن ! والواقع خلاف ما يدعون والكلام ذو شجون واللبيب تكفيه الاشارة .

(١) وسائل الشيعة ج ٦ ص ١٦

المبحث الحادي عشر: النظرة المحرمة

اتساع قنوات النظرة المحرمة

النظرة المحرمة

ان هذا البحث من المباحث المهمة لكثرة ما يُبتلى به المؤمن وقلنا المؤمن لشمول المسألة الذكر والأنثى فكلاهما مبتلان بهذه الآفة الكبيرة خلافا لما هو مرتكز في اذهان البعض كما سيأتي ذكره ان شاء الله.

من المعلوم ان الفيروسات والجراثيم تنتشر حولنا بكثرة كبيرة وقد يُصاب الإنسان بها فتسبب له الامراض الكثيرة مما قد تؤدي الى هلاكه ولذا ينصح الاطباء بضرورة الابتعاد عن الأماكن التي تتواجد فيها الجراثيم واستعمال الأساليب النافعة للوقاية والحد منها.

وكذا الحال في موجبات المعاصي والذنوب فأنها تنتشر في أماكن كثيرة كالجراثيم فينصح أطباء القلوب بضرورة الوقاية منها وذلك بالابتعاد عن أماكن تواجدها ومن هذه الفيروسات الضارة بالقلب هي النظرة المحرمة فان تعاقب النظرات المريبة تعطب حيوية القلب فلا يشعر الناظر بعدها بأي حرج مما يقترف من النظرات الشهوانية لأنها صارت عادة مباحة من افعاله الاعتيادية كشربة ماء.

ينقل صاحب البحار في كتابه عن الامام الحسين عليه السلام وهو يتحدث مع عبد الله بن عمر قبل خروجه الى كربلاء فقال (سلام الله عليه) : يا أبا عبد الرحمان ...أما تعلم أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيا ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئا.(١) [٨٣]

(١) مثير الأحزان ج ٢ ص ٢٨

لأن قلوبهم شربت وارتوت من معاصي الله تعالى حتى تخمت فقست فهي كالحجارة او أشد قسوة فلا يرون بعدها في اعمالهم السيئة أي حرج .

وكذلك المسالة في كثرة تتابع النظرات فأنها تطبع على القلب حتى يعمى عن رؤية بشاعة وقبح المعصية.

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): النظرة الاولى خطأ، والثانية عمد، والثالثة تدمر. (١) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): أول النظرة لك ، والثانية عليك ولا لك ، والثالثة فيها الهلاك .(٢) ان مفردتي التدمير والهلاك اللذان استعمالهما المعصومان (صلوات الله عليهما وآلهما اجمعين) لعله بسبب خطورة المنزلق الذي اوصل الشخص فيه نفسه .[٨٤]

ومن المفيد ان نقول ان النظرة الاولى - لك او خطأ - كما في الحديثين الشريفين في حال لم يكن الناظر قاصدا النظرة المحرمة في بادئ ذي بدأ وإلا لو كان ناويا وقاصدا النظرة المحرمة من أول الأمر لكانت الاولى محرمة أيضا.

فقد ورد عن جرير: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن نظرة الفجاءة ، فأمرني أن أصرف بصري)(٣) والفجاءة :هي النظرة من غير ان يتهيأ ويستعد لها الناظر. اتساع قنوات النظرة المحرمة:

ان القفزة العلمية التي شهدها عالمنا المعاصر وخاصة في مجال الأجهزة الالكترونية ساهمت في إيجاد قنوات عديدة، وفتحت الباب على مصراعيه

---

(١)ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٢٨٤
(٢)نفس المصدر
(٣)نفس المصدر

حيث أتاحت المجال الواسع لمن أراد اقتحام الحمى أي النظر المريب من دون عناء يُذكر.

فالوصول الى المنافذ المحرمة عن طريق التلفاز والنقال والكمبيوتر فهي سهلة الحصول وفي متناول الجميع.

ان هذا البلاء قصم ظهر البعير كما يقال في المثل فهذه الاجهزة تعد قاصمة ومفسدة للأخلاق الأفراد والأسر والمجتمعات إلا ما رحم ربك.

فان النظر الى بدن المرأة وكذا الرجل اصبح في متناول اليد وسهل المؤونة فما ان يخلع الرجل والمرأة جلباب الحياء من الله سبحانه ولم يعرا فاجعة ما يقدمان عليه فلا ريب أنهما لن يتورعا عن النظرة المريبة الى بدن الآخر.

ولذا ورد الأمر في كتاب الله العزيز بوجوب إغماض البصر وحفظ الفرج لكليهما أي الرجل والمرأة على حد سواء لعلة وجود الموجبات والدوافع الغريزية فيهما.[85]

قال تعالى(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ).(١)

ولعله والله العالم ان تقديم إغضاض البصر على حفظ الفرج وهو ان إغضاض البصر عامل منع في حفظ الفرج وعفته وزكاة للنفس من الوقوع في دنس الفاحشة فكأنما الآية تقول غضوا أبصاركم لكي تحفظوا

(١) النور اية ٣١

فروجكم وبحفظ الفروج تزكى النفوس قال سبحانه (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا.) (١)

في سعد السعود: قرأت في الإنجيل: قال عيسى عليه السلام: سمعتم ما قيل للأولين لا تزنوا، وأنا أقول لكم : إن من نظر إلى امرأة فاشتهاها فقد زنى بها في قلبه. إن خانتك عينك اليمنى فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن تهلك أحد أعضائك ولا تلقي جسدك كله في نار جهنم ...الخ

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: اجتمع الحواريون إلى عيسى عليه السلام فقالوا له : يا معلم الخير أرشدنا:..فقال : إن موسى نبي الله عليه السلام أمركم أن لا تزنوا ، وأنا آمركم أن لا تحدثوا أنفسكم بالزنا فضلا عن أن تزنوا ، فإن من حدّث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوق فأفسد التزاويق الدخان وإن لم يحترق البيت.[٨٦](٢)

اذن: النظرات المريبة هي مقدمات وخطوات للوقوع في فخ ابليس اللعين ولذا جاء التحذير من قبل القران الكريم بعدم اتباع خطوات الشيطان قال تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.(٣)

وان من زخرف القول ما قد يُقال ان النظر المريب من لمم المعاصي والذنوب وأنها لا تؤثر على إيمان المؤمن.

(١)الشمس آية ٩
(٢) عوالي اللآلي ج ٢ ص ٢٠٢
(٣)النور آية ٢١

فان جسم الانسان قد يصاب بفيروس لا يكاد ان يُرى إلا بالمجهر ولكنه يقضي على صاحبه وكذا النظرات المحرمة فأنها سهام سامة تضرب أدق جهاز عند الإنسان المؤمن وهو قلبه فيتمّرض القلب بالتدريج ويصاب بالأمراض الكثيرة عن الإمام الصادق (عليه السلام): النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة.(١) يقول الشاعر: نظرة فابتسامة فكلام فموعد فلقاء.[٨٧]

اذن: فالنظرة المحرمة هي سلاح الشيطان ومصيدته عن الإمام علي (عليه السلام): العيون مصائد الشيطان) (٢) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): يا بن جندب ! إن عيسى بن مريم (عليه السلام) قال لأصحابه...: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة، طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في عينه.(٣)

ان النظر المحرم يتسبب في هيجان الشهوة في النفس وبالتالي يؤدي الى اعماء القلب عن إراءة طريق الحق فعن علي عليه السلام انه قال : إذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن العاقبة.(٤)

فمن الضروري لوقاية النفس من هذا الداء الوبيل استشعار الحضور الإلهي في القلب المؤمن، وانه سبحانه مطلع على خائنة الاعين وما تخفي الصدور قال علي عليه السّلام : اِتَّقُوا مَعَاصِيَ اَللَّهِ فِي اَلخَلَوَاتِ فَإِنَّ اَلشَّاهِدَ هُوَ اَلحَاكِمُ .(٥)

٩!٩ ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٢٨٤
(٢)غرر الحكم ص ١٧٤
(٣)ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٢٧٧
(٤)غرر الحكم ج ١ ص ٢١١
(٥)نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٤.

ان من المخجل ان ينصرف شخص عن المعصية لوجود طفل مميز حاضر عنده فيرتدع عن الفاحشة خجلا منه او خوفا منه ان يكشف أمره، ولكنه لا يرتدع ولا يخجل من اللّه تعالى المطلع على خفايا الصدور مغترا بحلمه وستره غير عابئ بعظمته وسطوته يقول تعالى (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُم) (١).

وسئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): بما يستعان على غمض البصر ؟ فقال: بالخمود تحت سلطان المطلع على سترك.[٨٨](٢)

ثم ان الشهوة البصر تهّيج غرائز النفس وتتعبها وتجعل الشخص في اضطراب فكري ونفسي بحيث يبقى ساعيا وباحثا عن ارتواء عطشه الشهوي فيبقى في دوامة مستمرة يناله الاعياء والإرهاق والنصب وناهيك عن اكتساب الآثام واستنزال سخط الجبار فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): من ملأ عينه من حرام ملأ اللّه عينه يوم القيامة من النار، إلا أن يتوب ويرجع) (٣) وعنه (صلى اللّه عليه وآله): اشتد غضب اللّه عز وجل على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها أو غير ذي محرم منها .(٤)

ومن مفاسد هذه الافة انها تضّعف عزيمة المؤمن وتثبّط معنوياته الروحية ومن مضاعفاتها ان المتغول في هذا المرض في الغالب لا يجد في نفسه الاقبال المطلوب على العبادات والطاعات بل الكسل والفتور والإدبار يُخّيم

(١)النساء اية ١٠٨
(٢)ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٢٨٦
(٣)مستدرك سفينة البحار ص ٨٦
(٤)ميزان الحكمة ج 10 ص ٢٨٢

على بدنه وروحه بسبب سقوطه في مصيدة الشيطان والنفس الامارة بالسوء فيضعف عن النهوض بنشاط وعزيمة.

وان هذه المغريات موجودة — أي الصور والدعايات الماجنة - حيثما وجهت عينيك كالإعلانات الضاربة في الأسواق والشوارع والتلفاز والملابس وحتى اكياس على التبضع الى آخره هي لاصطياد المؤمن، وهذه لم تك وجودها محل صدفة واتفاق بل يتواجد وراء الكواليس اناس مجندين همهم الوحيد هو تدمير اخلاق المسلم وتجريده من هويته الإيمانية.

ولذا من الواجب على المؤمن الكيس لسلامة قلبه وبقاء نقاوته والحفاظ على قوة إرادته وعزيمته ان يتورع عن هذه المحرمات ويتدرع بجلباب الحياء والخوف من اللّه سبحانه والابتعاد عن الأجواء والأماكن التي تتواجد فيها هذه المغريات حتى لا يُهّيج غرائزه الكامنة تحت الرماد والاستعانة باللّه تعالى من كل ذلك فعن الإمام علي (عليه السلام): إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليأت أهله ، فإن عند أهله مثل ما رأى ، ولا يجعلن للشيطان إلى قلبه سبيلا، وليصرف بصره عنها، فإن لم تكن له زوجة فليصل ركعتين ويحمد اللّه كثيرا، ويصلي على النبي وآله ، ثم ليسأل اللّه من فضله فإنه يبيح له برأفته ما يغنيه.(١). [٨٩]

(١)نفس المصدر السابق

المبحث الثاني عشر: الخشية

المطلب الأول: أهمية في حياة المؤمن

قصة الميرداماد

خشية العلماء

المطلب الثاني: الخوف يلازم الإيمان:

المطلب الثالث: الخشية من الفقر والحاجة:

أهمية الخشية

الخشية: هو الخوف والوجل قلبي المقرون بالعظمة والإجلال.

ان الخوف والخشية من الله تعالى ومن أهوال يوم القيامة ونار جهنم من أهم وابرز الدوافع والمحركية نحو الطاعة والعمل الصالح ، ومن اهم العوامل لانزجار النفس عن المعاصي ، وهذه الفضيلة الشريفة لا تنافي مسالة عبادة الاحرار التي ذكرها المعصومون (عليهم السلام) في أحاديثهم فهم عبدوا الله تعالى عبادة الاهلية والأحرار ولم تكن عبادتهم عبادة العبيد والتجار، لكنهم مع عبادتهم الخالصة لله سبحانه من الأغراض الدنيوية والأخروية فالخوف من عذاب الاخرة لا يزايل ولا يفارق قلوبهم وهذا ما ذكره القرآن الكريم على لسان اهل البيت (عليهم السلام) قال تعالى (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إنمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) (١) [٩٠]

فالخوف والخشية منه سبحانه من مسائل التي حث عليها المولى تعالى في كتابه الكريم في آيات عديدة كقوله تعالى(رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ).(٢)

---

(١) الإنسان اية ١٠
(٢) النور اية ٣٧

وقوله تعالى (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ) (١)

اذن: ان من اعظم المنن الإلهية ان يتوّفق العبد لتحصيل الخشية في ساير عباداته وتحركاته وذلك من خلال قوة الايمان بالله واليوم الاخر قال تعالى (إِنمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.)(٢)

فالخشية هي صمام امان للعبد أمام تجاسر النفس الامارة بالسوء لاقتحام الموبقات والمحرمات في السر والعلن ، وتوجد قصة فيها عبرة لا بأس بذكرها:

قصة الميرداماد :

كانت بنت الأمير - في إحدى المقاطعات الإيرانية - عائدة إلى بيتها في وقت متأخر نسبياً في ليلة شتائية باردة، عندها صادفت في طريقها مدرسة دينية، ففكّرت أن تلجأ إليها حتى الصباح، طلباً للأمان - فربما ضلّت الطريق أو تفرقت عنها صاحباتها وربما كانت مضطربة بسبب أوضاع خاصة - ولم يكن في المدرسة في تلك الليلة إلا طالب علم أعزب ينام في إحدى الغرف وحيداً فريداً.

طرقت الفتاة الباب وفوجئ الطالب بشابّة تطلب اللجوء حتى الصباح عنده وهي مطمئنة إليه لكونه طالباً في مدرسة دينية.

---

(١)الأنبياء اية ٤٩

(٢) الانفال اية ٢

أدخلها الطالب حجرته الوحيدة ونامت آمنة مطمئنة حتى الصباح، ثم غادرت إلى بيت أبيها الأمير. وعندما سألها عن مكان مبيتها البارحة حكت له القصة.

فشكّ الأمير وأرسل خلف طالب العلم ليحقق معه، وتبين له بعد ذلك أن هذا الطالب منعه تقواه من أن يتكلم معها فضلاً عن أن يدنو منها أو يقوم بلمسها! وعندما أراد الأمير أن يشكر الطالب اكتشف أن إحدى أصابعه محروقة حديثاً فسأله عن السبب فقال: تعلم أني شاب وأعزب واتفق أن نامت في غرفتي ابنتك وهي امرأة شابة ولم يكن معنا أحد غيرنا، فأخذ الشيطان يوسوس لي، فخفت أن أفشل في مقاومته، فكانت في غرفتي شعلة نفطية، فبدأت أقرّب إصبعي من النار كلّما وسوس لي الشيطان (وقديماً قيل: والجرح يُسكنه الذي هو آلم) فصرتُ أسكّن ألم الشهوة بألم الاحتراق وبقيت هكذا إلى الصباح حتى نجّاني الله من الوقوع في فخّ الشيطان والنفس الأمارة بالسوء. وعندما سمعت الفتاة ذلك قالت: هو كذلك، لأني كنت أشمّ رائحة شواء، ولم أكن أعلم أن هذا المسكين إنما يشوي إصبعه!وقيل : إن الأمير زوّجها إياه بعد ذلك لما رأى من جلده وتقواه. وإنه أحد علمائنا الأعلام وهو المعروف بـ «ميرداماد» أي صهر الأمير.[٩٢]

إذن: فهذه الملكة الشريفة انما تبلورت في القلب المؤمن لتفاعله الإيماني بعالم الغيب وخوفه من دقة الحساب وشدة العقاب قال تعالى (.. وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ.(١)

(١) الرعد اية ٢١

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ثلاث منجيات... خوف الله في السر كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.(١)

فهناك فارق كبير وبون واسع بين شخص لا يتورع عن انتهاك المحرمات وارتكاب ابشع الجرائم الانسانية وبين شخص يتحاشى عن إيذاء نملة!! وهذا التباين منشأه هو وجود الإيمان في قلب الشخص او فقدانه، وقوته وضعفه حال وجوده.[٩٣]

إذن: فالخوف من الله سبحانه يجعل العبد حذرا يقظا في سلوكه وأفعاله وتعامله مع من حوله، ومن جملة علامات المؤمن الخائف انه سائل عن دينه وأحكامه خشية الوقوع في المحذورات والشبهات فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فمن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه . (٢)

ومن علاماته ان المؤمن وجل وفرق مما مضى من عمره ومما هو باق منه ينتابه الشعور بالخوف والوجل هل هو مأخوذ بجريرته وتقصيره او مرحوم ومغفور له ؟ قال تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ).(٣)

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري

(١)ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٣٥٢
(٢)وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٦٢

(٣)المؤمنون اية ٦٠

ما اللّه قاض فيه ، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ، وفي الشيبة قبل الكبر ، وفي الحياة قبل الممات فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب ، وما بعدها من دار إلا الجنة أو النار.(١)

ان النظر الى ضعف الإنسان وعجزه في درأ العقاب عن نفسه واحتياجه الى قوة وعظمة تلبي حاجاته ، وتسد نواقصه، وترفع شأنه، ومن جهة اخرى الحذر والخوف من مكر الله واستدراجه قال تعالى (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلا الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ) (٢) وقال تعالى(وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ المَصِيرُ) ال عمران اية ٢٨ . وقال سبحانه (فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ).(٣)

فجميع هذه الحقائق تفيض هالة وخشية في قلوب العلماء الذين استناروا بنور العلم والحقيقة ولذا يصفهم الباري عز وجل بقوله (إِنمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .[٩٤](٤)

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام الى ذلك بقوله عليه السلام (هَجَمَ بِهِمُ اَلْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ اَلْبَصِيرَةِ وَبَاشَرُوا رُوحَ اَلْيَقِينِ وَ سْتَلاَنُوا مَا اِسْتَوْعَرَهُ اَلْمُتْرَفُونَ وَأَنِسُوا بِمَا اِسْتَوْحَشَ مِنْهُ اَلجَاهِلُونَ وَصَحِبُوا اَلدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالمحَلِّ اَلأَعْلَى أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اَللّهِ فِي أَرْضِهِ وَلدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ .(٥)

---

(١)وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٢١١
(٢)الاعراف اية ٩٩.
(٣)القلم اية ٤٤
(٤)فاطر اية ٢٨
(٥)نهج البلاغة ج ٤ ص ٢٥

والإنسان اذا رجع إلى فطرته سيجد قلبه يتوجه الى قبلة واحدة لا غير وهي قبلة التوحيد المندكة في عبودية المولى عز وجل التي تتساق لها القلوب الطاهرة التي لم تتلوث بالمعاصي والذنوب ولم تسلط على قلوبها خوف المخلوقين مهما تفرعنوا وتجبروا في الأرض.

خشية العلماء:

(إِنمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (١).

والعلماء في الآية المباركة ليس المراد خصوص الفقهاء بل أعم من ذلك، فالضابطة المستفادة من الآية الشريفة التي تصدق على عباده العلماء هي خشيتهم لله تعالى وليس المراد منها خصوص الفقيه!! لأن الخشية والخوف من خصائص القلب، والعلوم النظرية كالفقاهة هي من حظوظ العقل.

وقد وصل الكثير من ذوي القلوب الطاهرة والمخلصة الى مرتبة عالية من الكمال والخشية مع أنهم ليس بفقهاء !! وما أكثر المغمورين في بلاد الله الواسعة الذين لا يعلمهم إلا الله تعالى !! نعم قد يتوّفق العبد لكلا الأمرين أي ان يكون فقيها وعالما حسب المصطلح القرآني.[٩٥]

اذن: فكل من يخشى الله تعالى فهو عالم وان لم يكن فقيها، وان كانت الخشية بين العلماء مفهوما مشككا تتفاوت قوة وضعفا وذلك حسب معرفتهم وقوة يقينهم واخلاصهم وغيرها من المميزات والفوارق فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): من كان بالله أعرف كان من الله أخوف (٢)

(١)فاطر اية ٢٨
(٢)ميزان الحكمة ج ٣ ص ١٢٦

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): في حكمة آل داود: يا بن آدم ، أصبح قلبك قاسيا وأنت لعظمة اللّه ناسيا، فلو كنت باللّه عالما وبعظمته عارفا لم تزل منه خائفا.(١) .

وإذا استولت خشية اللّه على مجامع قلب العالم فلا يهاب ولا يخضع ولا يطأطئ رأسه لغير خالقه من الطواغيت والظلمة، وتنساق كل حركاته وسكناته وأفعاله نحو محور ومركز واحد وهي العظمة الاوحدية فلا يجاري سواها ولا يخشى عداها انما يستمد شعاع القوة والنصرة منها لأنها جديرة بالتبعية والخضوع والاستسلام وتكون النفس عزيزة أبّية.

ولقد ضرب سحرة فرعون اروع المواقف في الإيثار حيث لم يؤثروا خوف فرعون على خوف اللّه تعالى ، وذلك حين بانَ لهم الحق وعرفوا ان اللّه تعالى اولى بالانقياد والخشية من فرعون (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا).[٩٦](٢)

اما القلوب التي ارهبها سوط السلطان وسطوة الطغاة والظلمة رضت بالذل والهوان والتسكع على أبواب الطغاة خشية من مكاره الأقدار ان تنالهم، فلا مناص ان تلكم القلوب الخائفة والخانعة قد وجهت بوصلتها نحو عظمة مزيفة وهالة مصطنعة استسلمت لها قلوبهم الواجفة التي عميت عن رؤية الحق والهدى قال تعالى (أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ سورة التوبة اية ١٣ وقال (يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً).(٣)

---

(١)نفس المصدر السابق
(٢)طه اية ٧٢
(٣)النساء اية ٧٧

ان الخوف والخشية من الله تعالى من اجلّ النفائس الكريمة وهي رأس الحكمة فمن أتاها فقد أُوتي خيرا كثيرا قال تعالى (يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الأَلْبَابِ).(١)وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): رأس الحكمة مخافة الله.(٢)

المطلب الثاني: الخوف يلازم الإيمان

ان الخوف من لوازم الايمان ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله تعالى(انمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٣) وقوله تعالى أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)(٤) .[٩٧]

ولكن الايمان امر نسبي قد يشتد وقد يضعف حسب الدرجة الاقبالية والادبارية من العبد تجاه ربه سبحانه عن عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَرَاطِيسِيِّ قَالَ: "قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ إِنَّ الإيمَانَ عَشْرُ دَرَجَاتٍ بِمَنْزِلَةِ السُّلَّمِ، يُصْعَدُ مِنْهُ مِرْقَاةً بَعْدَ مِرْقَاةٍ، فَلا يَقُولَنَّ صَاحِبُ الاثْنَيْنِ لِصَاحِبِ الْوَاحِدِ لَسْتَ عَلَى شَيْءٍ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْعَاشِرِ، فَلا تُسْقِطْ مَنْ هُوَ دُونَكَ، فَيُسْقِطَكَ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، وَ إِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكَ بِدَرَجَةٍ فَارْفَعْهُ إِلَيْكَ بِرِفْقٍ، وَلا تَحْمِلَنَّ عَلَيْهِ مَا لا يُطِيقُ فَتَكْسِرَهُ، فَإِنَّ مَنْ كَسَرَ مُؤْمِناً فَعَلَيْهِ جَبْرُهُ"")) (٥)

---

(١)البقرة اية ٢٦٩
(٢)مشكاة الانوار 92
(٣)ال عمران اية ١٧٥
(٤)التوبة اية ١٣
(٥)الكافي ج ٢ ص٤٥

اذن: فإقبال العبد على الله تعالى يكشف عزوفه عن الدنيا وعن سعة ايمانه النوراني الذي ملأ كيانه كما عبّر النبي صلى الله عليه واله في حق عمار بن ياسر في مقولته المشهورة (إن عمارا مليء إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه.(١) [٩٨]

وقد يضعف الايمان بدرجات متفاوتة كما بينه الامام سلام الله عليه حسب سُلّم الترتيبي.

فقوة الإيمان تولد الخوف والخشية من الله تعالى وتمنع صاحبها من التوسل بالأسباب المحرمة والملتوية خشية استحقاق العقاب والعتاب، ومهما عصفت الظروف والفتن لا ينقاد المؤمن الخائف إلا لربه ، فما أكثر ما سمعنا في التاريخ البشري ان خذلان الأمم لأنبياء الله واوصيائهم والقادة المخلصين إنما كانت بسبب استيلاء الخوف على انفسهم من بطش الظلمة والطغاة او الخوف والخشية على مصالحهم الدنيوية الآنية التي آثروها على خشية الله تعالى .

فالفرعنة القابعة على انفاس الناس في أغلب العصور والأمصار والتي استحكمت عليهم بزمام سطوتها بالقهر والغلبة انما هي نتيجة الخوف المستولي على قلوب الناس.

ثم ان بذل المُهجة وتوطين النفس للقاء المحبوب وإذعان لواعية المصلحين ونصرتهم لهي من أوضح علائم الخشية من الله تعالى وأنجع سبيل لمواجهة الطغاة والمردة !! بخلاف نصرة الباطل وخذلان الحق وأهله لهي

---

(١) ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢١٧

من شيمة الجبناء، وسفالة الانفس، وان خشية الخالق هي فضيلة وعزة، وخشية المخلوق رذيلة وذلة وعارا يلازم ذويه ما داموا ملازمين لخوف المخلوقين.

اذن: فخشية الله هي طاقة جبارة مضيئة في قلوب الصالحين ينطلق من خلالها الفرد المؤمن نحو العالم الرحب بدءا من ادناها الى أعلاها ومن اضيقها الى اوسعها لا تأخذه في الله لومة لائم .

وان اقتصار وتحديد الخشية لله وحده دون سواه هي من أوجب الواجبات والمسؤوليات في عهدة العبد، وتحقيق هذا الأمر يكون بقوة إيمان العبد ويقينه، وتمرين النفس وترويضها لتبعية المولى وطاعته، وان تعويد القلب على التصبّر في مجابهة الحوادث المؤلمة لهي من أعظم المسؤوليات المنوطة في ذمة العبد.

اذن: فالوجل من الله تعالى والرهبة من سخطه قوة منع وزجر يستمد المؤمن منها الصلابة والعزة والإباء، وحب الدنيا والإخلاد هي قوة جذب وغرور يسقط في حبائل خدعها من لا حظّ له من الخشية والرهبة من اللّه تعالى.[٩٩]

اذن احبتي: القلب المؤمن يجب لا يخشى ولا يهاب سوى خالقه وواجده الذي بيده مصائر العباد وخيرات البلاد، ولا ينساق خلف الظلمة والطغاة خشية سطوتهم وغطرستهم ومن اروع ما قاله سيد الشهداء (ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.(١)

(١) الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٤٣

ومن دعاء عرفة لسيد الشهداء عليه السلام (اَللّهُمَّ اجْعَلْني اَخْشاكَ كَاَنّي اَراكَ ، وَاَسْعِدْني بِتَقواكَ. مفاتيح الجنان . (الهى اِنَّ رَجآئي لا يَنْقَطِعُ عَنْكَ وَاِنْ عَصَيْتُكَ ، كَما اَنَّ خَوْفي لا يُزايِلُني وَاِنْ اَطَعْتُكَ.)(٣)

المطلب الثالث: الخشية من الفقر والحاجة

ان الفقر والحاجة أمرٌ يأخذ بمضاجع الكثير ويذهل لبُابَ قوم آخرين ويجلب الهموم لأصحابه، وليس من الانصاف تهوين خطبه ولا تخفيف ثقله او تصغير حجمه فهو امر عسير، فعن امير المؤمنين (عليه السلام) انه قال : إن الفقر مذلة للنفس مدهشة للعقل جالب للهموم.(١)

ولكن مع هذه العوارض المؤلمة لا يسوغ لذوي الفاقة والحاجة او لمن يخشى الفقر في تقادم الأيام ان يتوسل بالأسباب المنافية للشريعة المقدسة، فيقتحم حدود اللّه غير عابئ بالعواقب والنتائج المؤلمة التي يقدمها لنفسه بل لابد ان تكون خشية اللّه هي مقدمة على كل خشية وسارية على قلب العبد ، فاللّه تعالى هو وحده المتكفل بأرزاق العباد قال سبحانه(وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).(٢)

وان بلاء الفقر والحاجة هو تمحيص لايمان العبد ولمعرفة مدى خوفه من اللّه سبحانه في الأمر الخارجي عند سغب المعيشة ، ولمعرفة مدى ثباته وقوته وتزلزله وضعفه امام الشدائد والمحن ، ولرفع منزلته ومكانته عند

(١)غرر الحكم ص ٢٤٧
(٢)التوبة اية ٢٨
(٣)ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٢٥

الله سبحانه عن الإمام علي (عليه السلام): إن الله إذا جمع الناس نادى فيهم مناد : أيها الناس ، إن أقربكم اليوم من الله أشدكم منه خوفا .(٣)

المبحث الثالث عشر: مرض الكذب

- المطلب الأول: الكذب آية المنافق
- المطلب الثاني: الكذب يذهب البهاء
- المطلب الثالث: تفاوت درجات الكذب
- المطلب الرابع: تأثير الكذب على القلب

مرض الكذب

الكذب: هو الكلام الذي لا واقع له في الخارج وهو ممقوت ومبغوض عند جميع الاديان ومخالف لفطرة الإنسان والعقل يحكم بقبحه إلا من شذّ عن الأصل فلا يعتد بقوله.

مقولة ان الغاية تبرر الوسيلة

تتردد على ألسُن جملة من الأفراد مقولة (الغاية تبرر الوسيلة) وهي مستوحاة من كتاب -الامير - لميكافيلي ومفادها : انه يجب تحصيل الهدف ونيل المراد ولو توسل الفرد بأساليب ووسائل منافية للأعراف والأديان معللا ذلك بضرورة الغاية وهذا يعني ان الساعي للغاية والهدف ولو اهلك العباد والبلاد او تسبب في تعريض سمعته ومكانته الاجتماعية والأخلاقية الى الهتك والإهانة فلا ضير عليه لان غايته الدنيوية أقدس وأشرف في نظره ومبادئه .

وإننا لو سبرنا فكرنا ونظرنا الى العلل والموجبات التي دعت الفرد الى استعمال الكذب مع علمه المسبق بان الكذب مبغوض وممقوت ومحرم في الإسلام ومخالف لفطرة الانسان وانه يهدم المروءة ويجلب المقت والمهانة فمع هذا وذاك نراه لا يعبأ بهذه النتائج كلها وسنصل الى نتيجة مؤلمة وهي ان هذا الفرد يسعى للوصول الى مآربه وغاياته وأهدافه ولو ضحى بسمعته وأخلاقه وتعريض نفسه للمقت والعقاب عند ربه ولسان حاله(ان الغاية تبرر الوسيلة) .

ان هؤلاء النماذج موجودون وكثيرون في التاريخ البشري ولا يخلو منهم زمان فهؤلاء انخدعوا بمتع الدنيا الفانية وزخارفها البالية وشهواتها العابرة التي آثروها على طاعة الله تعالى فعرّضوا انفسهم لإنزال سخطه.

ان الكذّاب مهما طال به الزمان لإخفاء كذبه وبالأحرى مرضه فان له يوما يبان كذبه ويكتشف أمره بين الناس ويشتهر بينهم بالصغار يقول أمير المؤمنين عليه السلام :(الكذب في العاجلة عار وفي الآجلة]الآخرة[عذاب النار.(١) ١٠١

فكيف يرضى ذو لب ان يتسبب لنفسه العزيزة والكريمة بالذل والمهانة والضعة والسمعة السيئة بين الناس من اجل حفنة من المنافع الزائلة ؟ ان هذه المسالك والأساليب الملتوية النابعة من الجهل ومن مرض القلب وتلوثه بحب الدنيا انما يخدع ويكذب المرء على نفسه قال تعالى (انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ.(٢)

وان أهدافه ومآربه الدنيوية التي يسعى لتحقيقها بواسطة الكذب لاستدرار وجوه الناس اليه او لرفع منزلته عندهم او لدفع الشبهات عن نفسه او لنيل منافع مالية وغيرها من الأغراض الدنيوية التي قام بافتعالها كذبا وزورا فهي نعم تفنى وملك يبلى ومكانة وهمية زائلة.

وان هذه الغايات الدنيوية ولو نالها برمتها وشعر الكذّاب بالانتصار والظفر فهي سرعان ما تكون وبالا ونقمة عليه وسيحمل اثقالها على ظهره

---

(١)غرر الحكم ص ١٤٢
(٢)الأنعام اية ٢٤

ألا ساء ما وزر قال سبحانه (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ. (١)

والحق لمن اراد تحصيل الغايات النبيلة والأهداف العظيمة ان يوجّه قلبه وبوصلته الى خالقه ويتوسل بأهل كرامته ويلتزم بدين اللّه وتعاليمه المباركة فهو المسلك الاوحد وسبيل الأنجع، فمثلا من أراد العزة والمكانة والهيبة انما تنال بطاعة اللّه تعالى فطاعته تورث العزة يقول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): إن اللّه تعالى يقول كل يوم: أنا ربكم العزيز ، فمن أراد فليطع العزيز . (٢) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): من أراد عزا بلا عشيرة، وغنى بلا مال، وهيبة بلا سلطان، فلينقل من ذل معصية اللّه إلى عز طاعته.[١٠٢](٣)

ولكن بخلاف الكذب فانه يورث الذل والمهانة عن امير المؤمنين (عليه السلام): الكاذب مهان ذليل.(٤)

وأما استعمال الكذب بخلق وإيجاد اوصافا وفضائل في حقه لاستمالة قلوب الناس اليه وبغية النظر اليه بالإجلال والعظمة فان قلوب الناس هي بيد اللّه تعالى فهو يحول بين المرء وقلبه فكيف بقلوب الناس؟ ولو اعمل المرء كل اساليبه من الحيل والخدع والكذب لاستمالة قلوب لن يفلح ابدا إلا ان يشاء اللّه تعالى.

---

(١) الانعام اية ٣١.

٢)ميزان الحكمة ج ٦ ص 29

(٣)نفس المصدر

(٤)غرر الحكم ١٤٣

اذن: فالأهداف المشروعة يمكن تحصيلها بالوقوف على باب الكريم والتضرع والدعاء إليه تعالى وتطهير القلب من الوسائل والأساليب المحرمة لا بالمراوغة واستعمال الكذب والحيل للوصول الى الاهداف والغايات قال علي (عليه السلام) : قلوب العباد الطاهرة مواضع نظر اللّه سبحانه فمن طهر قلبه نظر إليه.(١)

وان باب الكريم مفتوح لعباده والأرزاق نازلة من فيضه ويداه مبسوطتان بالخير والعطاء ورحمته شملت اهل الطاعة والمعصية المقبل عليه والمدبر عنه (يا مَنْ يُعْطِي الْكَثيرَ بِالْقَليلِ، يا مَنْ يُعْطي مَنْ سَأَلَهُ يا مَنْ يُعْطي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً).(٢)

فلِمَ إعمال الكذب – مثلا - لكسب مال الحرام في المعاملات كالبيع والشراء والإجارة وغيرهن والخير كله بيده ؟ (كَيْفَ اَرْجُو غَيْرَكَ وَالخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ) ١٠٣(٣)

المطلب الاول: الكذب آية المنافق

من المعلوم ان الهدف الاسمى من بعثة الأنبياء وتشريع الاحكام هو إيجاد المجتمع الواعي المتحلي بالأخلاق السامية والمنّزه عن الرذائل، والمتجافي عن الازدواجية في الأخلاق والتعامل ونحن اذا دققنا وتمعنا في سلوك المنافق نلاحظ الازدواجية في حركته وسلوكه لعدم ولوج العقيدة الحقة في قلبه وخروجه عن الفطرة السليمة .

(١)غرر ص ٢٥
(٢)مفاتيح الجنان
(٣)نفس المصدر

ولذا نجد ان ظاهر المنافق يخالف باطنه فيستتر بالأعمال الحسنة الظاهرة لحفظ باطنه القبيح وكذا حال الكذاب في الازدواجية في التعامل والسلوك والتعاطي مع غيره، فظاهر كلامه مخالف لباطن سريرته ومخالف للواقع الخارجي.

فلذا كان الكذب علامة المنافق لوجود التشابه في الازدواجية في التعامل فعن النبي (صلى الله عليه وآله): أربع من كن فيه فهو منافق ، وإن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر . (١) وعنه (صلى الله عليه وآله): آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائُتمن خان .[١٠٤](٢)

المطلب الثاني: الكذب يُذهب بالبهاء

مرّ الكلام في المباحث المتقدمة ان المؤمن ملزم بصيانة نفسه وحفظها عن كل ما يرديها ويحط من شأنها ومكانتها، ولا يخفى ان التلبس والاتصاف بالأخلاق الفاسدة هي موجبة في الحط من شخصية وسمعة الفرد المسلم ومن تلكم الاخلاق والأمراض المنافية للأخلاق هو الكذب فهو من الخلق القبيح والمهين ويذهب ببهاء المرء فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا يكذب الكاذب إلا من مهانة نفسه عليه) (٣) وعن امير المؤمنين عليه السلام (كثرة كذب المرء تذهب بهاءه).(٤)

---

(١)ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٤٤٨
(٢)نفس المصدر
(٣)نفس المصدر
(٤)غرر الحكم ١٤٣

وإن المؤمن لن يتمكن ان ينأى بنفسه عن دائرة العقوبة والملامة والتقصير امام اللّه سبحانه إلا بالالتزام بمكارم الأخلاق والامتثال لأوامره ومن تلك المكارم الأخلاقية التي دعا اليه الشارع المقدس هي خصلة الصدق والترفع عن الكذب فمن وصايا النبي (صلى اللّه عليه واله) لعلي عليه السلام قال : اوصيك يا علي في نفسك بخصال فاحفظها اللهم أعنه : الاولى الصدق فلا تخرج من فيك كذب أبدا) ثم بين صلوات اللّه عليه واله في نهاية الوصية ان في عدم الالتزام بهذا المنهج النبوي تكون النفس عرضة للسقوط والخسران فقال : وعليك بمحاسن الاخلاق فارتكبها ، وعليك بمساوي الاخلاق فاجتنبها ، فان لم تفعل فلا تلومن إلا نفسك.(١) [١٠٥]

المطلب الثالث: تفاوت الكذب

لا إشكال في حرمة الكذب صغيره وكبيره قليله وكثيره جده وهزله ولكن تختلف الحرمة شدة وضعفا من حيث الجهة التي وقع عليها الكذب ومن حيث جهة التي صدر منها الكذب.

اما الأولى: أي التي وقع عليها الكذب فان الكذب على اللّه ورسوله وآياته هي اشدها حرمة وجرما كقوله تعالى (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ .(٢) وقوله تعالى (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ . (٣) وقوله تعالى (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ

(١)وسائل الشيعة ج ١٥ ص ١٦٨
(٢)الزمر اية ٦٠
(٣)عمران اية ٧٨

مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ .(١) وعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله):من كذب علي بني له بيت في جهنم يرتع فيه.(٢) وعنه (صلى اللّه عليه وآله): من كذب علي متعمدا ليضل به الناس فليتبوأ مقعده من النار.(٣)

ومن الكذب الشديد اليمين الفاجرة وتسمى بـ الغموس التي تغمس صاحبها في الاثم ثم بالنار وهو ان يُحلف باللّه كذبا فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): إياكم واليمين الفاجرة، فإنها تدع الديار بلاقع من أهلها. (٤) وعن علي عليه السلام : أسرع شيء عقوبة اليمين الفاجرة (٥) وتوجد أنواع أخرى أعرضنا عنها خشية الإطالة .[١٠٦]

وأما **الثانية**: وهي الجهة التي صدر منها الكذب فان صدور الكذب من أشخاص لهم مكانة وحظوة في الدين والمجتمع لا إشكال بانها اشد حرمة وقبحا وجرما عند اللّه تعالى.

المطلب الرابع: تأثير الكذب على القلب

ان النفس الانسانية قابلة للترويض والتهذيب من خلال التحلي بالملكات الطيبة والفاضلة الى ان تصل الى درجة عالية من السمو والتقوى وتسمى في عرف علماء الأخلاق بالملكة حيث تصعب ازالتها من النفس بعد التمكن فيها، وكذا النفس قابلة الى الاعتياد من خلال كثرة الممارسة وان لم

---

(١)فاطر اية ٤
(٢)ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢٠٢
(٣)نفس المصدر ص ٢٣٦
(٤)نفس المصدر
(٥)غرر الحكم ص ٣١٦

يُقصد ترويضها وتهذيبها فهي تصبح عادة مستحكمة في النفس يصعب زوالها وهذا الاعتياد والتطبع لا يختص بالصفات الحسنة والأخلاق الحميدة بل يعم الاخلاق السيئة فما اكثر الصفات السيئة التي اعتاد وطبع الناس عليها وترسخّت في تصرفاتهم وأحوالهم.[١٠٧]

وان القلب ليتفاعل مع كلا العادتين فان العادة الطيبة تفيض طهارة ونقاوة وسعة وانشراحا على القلب وكذا يتأثر القلب بالعادات السيئة فيكون مريضا قاسيا مظلما فعن امير المؤمنين عليه السلام (تخير لنفسك من كل خلق أحسنه فإن الخير عادة.(١)

وممارسة الكذب وكثرته يؤول الى ترّسخ هذه الصفة الخبيثة في النفس بحيث يصل الفرد الى درجة لا يرى اي حرج عند إرادته الكذب.

ثم ان القلب ليّسود ويظلم من كثرة الكذب بحيث يصبح قطعة سوداء فلا يبقى فيه موضع للصدق وقد أشار لهذه النكتة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بقوله الشريف : لا يزال العبد يكذب ويتحرى لكذب فتنكت في قلبه نكتة حتى يسود قلبه ، فيكتب عند اللّه من الكاذبين.(٢)

وعن الإمام علي (عليه السلام): ما يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى في قلبه موضع إبرة صدق، فيسمى عند اللّه كذابا.(٣)

---

(١)غرر الحكم ١٦٩
(٢)ميزان الحكمة ج ٨ ص ٤٠٥
(٣)مشكاة الانوار ص ١٣٤

المبحث الرابع عشر: داء التخمة

المطلب الأول: التخمة مفسدة للصحة

المطلب الثاني: التخمة مفسدة للقلب

الخلاصة

المطلب الأول: التخمة مفسدة للصحة

التخمة من المفردات وردت ذكرها في روايات المعصومين (عليهم السلام) التي تحذر وتذّم فاعلها لعلة الإفساد الناتجة من الاسراف في الاكل ، ويُعد الاسراف في الاكل الى حد التخمة من أشد العوامل ضررا على صحة الانسان وهذه المسالة محل وفاق عند علماء الاديان والأبدان وهي من المسلمات والواضحات ويعترف بها كل عاقل سوّي ومن الطريف أنّه : حكى أنّ هارون العباسي كان له طبيب نصراني حاذق ، فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد : ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان : علم الأديان ، وعلم الأبدان ، فقال له علي: قد جمع اللّه الطب كلّه في نصف آية من كتابه وهو قوله: (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وجمع نبيّنا(صلى اللّه عليه وآله وسلم) الطب في قوله: «المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء، واعط كل بدن ما عودته ». فقال الطبيب: ما ترك كتابكم ولا نبيّكم لجالينوس طبّاً.(١) ١٠٨

ثم ان المحافظة على صحة الإنسان أمر مطلوب حتى يتسنى للمؤمن القيام بوظائف العبودية للّه تعالى على وجهها المقدور باعتبار ان كثرة الاسقام مانعة في بعض الأحيان من تحصيل العبادات في حال الاختيار، فلذا ينبغي للمؤمن يتحاشى الأسباب والموجبات التي تؤدي الى تعليل بدنه ولو بعد حين.

بل ينبغي المؤمن اختيار الغذاء الصحي الذي يزّود الجسم بالطاقة والحيوية والنشاط.

(١) تفسير الامثل ج ٥ ص ٢٦

ويتجنب الأطعمة التي تؤدي الى مضاعفات سلبية على نشاط الجسم وحيويته لا بأس ان نتبرك بجملة من احاديث المعصومين (عليه السلام)في هذا المجال عن علي (عليه السلام): إياك وإدمان الشبع ، فإنه يهيج الأسقام ويثير العلل(١).عنه (عليه السلام): إياك والبطنة ، فمن لزمها كثرت أسقامه وفسدت أحلامه.(٢)وعنه الإمام علي (عليه السلام): (قلة الغذاء أكرم للنفس وأدوم للصحة. (٣) وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): قال(لو أن الناس قصدوا في الطعم لاعتدلت أبدانهم.[١٠٩](٤)

المطلب الثاني: التخمة مفسدة للقلب

لا شك من وجود علائق وروابط قائمة بين قلب الانسان المعنوي وبين الاشياء المادية فمثلا في حال انبساط وانشراح الصدر تكون النفس اكثر اقبالا وارتياحا عند الطعام والمنام والكلام وفي حال الانقباض وضيق الصدر تكون النفس بحالة الادبار والعزوف والفتور عمّا اعتادت عليه النفس عند الانبساط والانشراح.

وهناك علائق كثيرة قائمة بين الأشياء لسنا في صدد استقرائها بل الغرض ايصال الفكرة الى القارئ وهي ان قلب الانسان يتأثر تأثرا كبيرا في الأمور المادية ومنها التخمة والإسراف في الأكل.

(١)ميزان الحكمة ج ١ ص ٨٢
(٢)نفس المصدر
(٣)نفس المصدر
(٤)نفس المصدر

فعن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال (وكثرة النوم يتولد من كثرة الشرب وكثرة الشرب يتولد من كثرة الشبع وهما يثقلان النفس عن الطاعة و يقسيان القلب عن التفكر والخشوع.(١)

ان من سلبيات ومضاعفات كثرة الاكل الى حد البطنة قد يجعل الشخص مشغول البال في الطعام ونوعه والاستئناس بالعالم الطبيعة والإخلاد اليها ويغفل عن الفقراء والمساكين فشتان بين رجل يئن من الشبع والبطنة وآخر يئن من الجوع والمسغبة ، وفضلا عن المخاطر والمساوئ المعنوية على القلب وان اهل بيت العصمة سلام الله عليهم قد بينوا المخاطر الجمة نتيجة التخمة في الاكل ومن تلك المضاعف :

تطفئ نور المعرفة من القلب: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تشبعوا فيطفأ نور المعرفة من قلوبكم .(٢)

تُورث قسوة القلب: وعنه (صلى الله عليه وآله): من تعود كثرة الطعام والشراب قسا قلبه .''(٣)

المبغوضية عند الله تعالى: وعنه (صلى الله عليه وآله): ليس شئ أبغض إلى الله من بطن ملآن.(٤)

تميت القلب: وعنه (صلى الله عليه وآله): لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فإن القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء.(٥)

---

(١)مستدرك الوسائل ج ٥ ص ٩٣
(٢)ميزان الحكمة ج ١ ص ٨٢
(٣)نفس المصدر
(٤)نفس المصدر
(٥)نفس المصدر

تعمي القلب: عن الصلاح عن علي (عليه السلام): إذا ملئ البطن من المباح عمي القلب عن الصلاح. نفس المصدر تُكسل عن الصلاة : عنه (عليه السلام): إياكم والبطنة ، فإنها : مقساة للقلب ، مكسلة عن الصلاة ، مفسدة للجسد .(١) ١١١

الخلاصة:

قد اتضح مما مرّ ولو بصورة اجمالية على المفاسد والمضار الناتجة من اثر التخمة على صحة البدن والقلب وهناك مفاسد أخرى أعرضنا عنها خشية الخروج عن البحث.

ومن المهم ان يطلع المؤمن على الاثار السلبية التي تسببها التخمة والإسراف في الاكل ولكن الأهم في المسألة هو ترويض النفس وحملها على الاعتدال فلا يصح تضعيف البدن وتثقيله عن العبادات والطاعات من خلال التخمة والبطنة في الأكل وكذا لا يصح اضعاف البدن من خلال تجويعه الى درجة يضعف عن الإتيان بالعبادات على وجهها الصحيح.

نعم لابد من التفريق بين الجوع الذي يتسبب الى ضعاف البدن عن الطاعة والذي قد يشق على كثير من الناس ويتعذر مجاراته وبين الجوع الذي يتحمله عادة اصحاب الهمم العالية وأهل الزهد والتقوى وطالبي الكمال المعنوي وقد ورد الحث والترغيب عليه من قبل المعصومين صلوات الله عليهم وانه شعار الصالحين ويورث الحكمة ففي حديث المعراج ان رسول الله (صلى الله عليه واله) -: قال : يا رب ما ميراث الجوع ؟ قال :

(١) نفس المصدر السابق

الحكمة ، وحفظ القلب ، والتقرب إلي ، والحزن الدائم ، وخفة المؤونة بين الناس، وقول الحق ، ولا يبالي عاش بيسر أو بعسر .١ وأيضا -: يا أحمد ، إن العبد إذا جاع بطنه وحفظ لسانه علمته الحكمة ، وإن كان كافرا تكون حكمته حجة عليه ووبالا .(١)

وعن الإمام علي (عليه السلام): نعم العون على أسر النفس وكسر عادتها التجوع.(٢) وعنه عليه السلام : نعم الإدام الجوع وقال : نعم عون الورع التجوع .[١١٢](٣)

(١)نفس المصدر السابق
(٢)ميزان الحكمة ج ١ ص ٩١
(٣)نفس المصدر السابق

المبحث الخامس عشر: الغضب

المطلب الأول: حلم اللّٰه

المطلب الثاني: دواعي الغضب

المطلب الثالث: كظم الغيظ وآثاره المعنوية

المطلب الرابع: علاج الغضب

الغضب

الغضب: هو قوة نفسانية كالنار تحت الرماد ُتثار عند شهوة الانتقام او الدفاع.

وهي من أعظم النعم الالهية المستودعة والمعجونة في تركيبة وذات الإنسان وهي كأخواتها من القوى الموضوعة تحت إرادة الانسان فهو من يمتلك القدرة والسيطرة في لجم عنانها وكظم وضبط غيضها من خلال الترويض والتهذيب والتمرين على الحلم والتصّبر فعن (عليه السلام): من غاظك بقبح السفه عليك فغظه بحسن الحلم.(١)

وعنه (عليه السلام (إن لم تكن حليما فتحلم، فإنه قلّ من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم.(٢)

اما في حال إهمالها وتركها على استرسالها وشأنها بلا راع ورقيب فلا ضير عند حدوث موجباتها وعللها تثور النفس كالبركان الذي يتطاير حممه او كالثور الهائج يهاجم من يقف امامه.[١١٣]

ان العواقب الوخيمة والمشاكل الجسيمة والمصائب الاليمة التي تنهال على رأس الغاضب والمغضوب عليه بل تنهال حتى على من له رابطة او علقة بهما لحري بالعاقل الكيس ان يجتهد جهاد الأبطال وهمة وعزيمة الرجال في إرضاخ هذه القوة تحت ارادته وسلطانه ولا يدع لها منفذا إلا وردمه ولا بابا إلا وسده عن علي (عليه السلام) : من أطلق غضبه تعجل حتفه.(٣)

---

(١)غرر ص ١٩٧
(٢)ميزان الحكمة ج ٢ ص٣٤٢
(٣)ميزان الحكمة

وان هذه القوة العدوانية حينما يضعف المرء امامها تكون مالكة ومقودة ويكون صاحبها عبدا مقاداً فتورده موارد الهلكة فعن امير المؤمنين عليه السلام: الغضب عدو فلا تملكه نفسك. (١) وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رجل للنبي (صلى الله عليه وآله) : يا رسول الله علمني قال: اذهب ولا تغضب، فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفا ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تغضب ، فرمى السلام ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه فقال: يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أوفيكموه ، فقال القوم : فما كان فهو لكم، نحن أولى بذلك منكم قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب. (٢)

ان كثيرا من الحروب والصراعات العشائرية والمشاكل الاسرية وقطع الارحام وهلم جرا تجد لهذه القوة نصيبا كبيرا في ايجادها وحدوثها مع العلم ان هذه القوة ما وضُعت لتخريب والانتقام والاعتداء انما اوُجدت للدفاع عن الحق وأهله ورد الظلم والبغي فعن علي (عليه السلام) : كان (صلى الله عليه وآله) لا يغضب للدنيا ، فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له.(٣) [١١٤]

---

(١)غرر الحكم ص ٢٠٨
(٢)مستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ١٠٠.
(٣)ميزان الحكمة ج ٧ ص ٣٣٢

وقال تعالى حاكيا عن نبي الله موسى عليه السلام مع قومه لما عبدوا العجل (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.(١)

في كتاب المحاسن: عن الصّادق، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين(عليهم السلام) قال: قال موسى بن عمران: يا ربّ من أهلك الّذين تظلّهم في ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلاّ ظلّك؟ قال: فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم، والتربة أيديهم، الّذين يذكرون جلالي إذا ذكروا ربّهم، الّذين يكتفون بطاعتي كما يكتفي الصبيّ الصغير باللّبن، الّذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النسور إلى أوكارها، والّذين يغضبون لمحارمي إذا استحلّت مثل النمر إذا حرد(٢).[١١٥]

إذن: فهي قوة فاعلة في حياة وطبيعة الإنسان فلو لم تك هذه القوة موجودة لما استطاع الإنسان ان يدافع عن دينه وعرضه وماله وغير ذلك.

فهذه النعمة العظيمة الذي حباها المولى عز وجل للإنسان ان اُهملت وتُرك لها الباب مفتوحا على مصراعيه فأنها تصول وتجول وتهلك الحرث والنسل عن علي (عليه السلام): الغضب نار موقدة، من كظمه أطفأها ، ومن أطلقه كان أول محترق بها .(٣)

---

(١)الاعراف اية ١٥٠
(٢)المحاسن ج ٣ ص ١٠
(٣)غرر الحكم ص ١٦٢

اذن: لابد ان تكون إرادة الانسان هي المشرفة والمسيطرة عليها أي على القوة الغضبية يسوقها لكل حق وصلاح.

وان اهمال ترويض القوة الغضبية وتركها بلا رقيب وعتيد يعني تقديم وإيثار النوازع والشهوات النفسية على طاعة الله وغلق ابواب النجاة على النفس وفتح منافذ الهلاك وان عدم الاهتمام بأخذ زمامها ولجامها ستكون النفس عرضة وألعوبة بيد الشيطان والسماح له ان يحتل حريم القلب ليسكن فيه فيعشش ويفرخ، فيوقعه بالبلايا والمهالك مما لا يحمد عقباها فعن امير المؤمنين عليه السلام : ظفر الشيطان بمن ملكه غضبه.(١)

فما اكثر ما يكسر يستحيل او يعسر جبره وكان من الممكن تفادي ما وقع لو كانت القوة الغضبية في قبضة صاحبها المؤمن ومالك زمامها ، فيطلق عنانها الى كل حق ولكل خير ويمسكها عن كل باطل وعن كل شر فيكون هو الغالب عليها والظافر على الشيطان فعن امير المؤمنين عليه السلام (ظفر بالشيطان من غلب غضبه.(٢) ١١٦

ان شهوة الانتقام في لحظات الغضب تكلف المرء الكثير من المعاناة وتوقعه في العديد من الزلات والموبقات، وان ذكر الله سبحانه واستشعار القلب للحضور الالهي المطلع والشاهد على احوال العبد والخوف من غضبه وسخطه يكون عامل ردع للنفس من الغضب الذي يفضي الى الضرر وهتك الحرمات وإيقاع الأذى بالغير فان غضب الله تعالى وسخطه اشد

(١)نفس المصدر السابق
(٢)ميزان الحكمة ج ٧ ص ٣٢٠

واعظم من غضب المخلوق الضعيف العاجز في دفع ما ينزل عليه من بلائه وعذابه ، فكفّ النفس عن الغضب مخافة غضبه وسخطه يُنجيه ويؤمنه من سخطه وغضبه فضلا عن نيل رضاه وثوابه .

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) – لما سأله رجل أحب أن أكون آمنا من غضب الله وسخطه –: لا تغضب على أحد تأمن غضب الله وسخطه.(١) وعنه (صلى الله عليه وآله): من كف غضبه كف الله عنه عذابه . نفس المصدر . وعنه (صلى الله عليه وآله): إن العبد إذا ظُلم فلم ينتصر، ولم يكن له من ينصره، ورفع طرفه إلى السماء فدعا الله، قال الله : لبيك أنا أنصرك عاجلا وآجلا.(٢) وعنه (صلى الله عليه وآله) يقول الله عز وجل: اشتد غضبي الله على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري. (٣)وعن الإمام الباقر (عليه السلام): لما حضر علي بن الحسين (عليهما السلام) الوفاة ضمني إلى صدره ، ثم قال : يا بني اوصيك بما أوصاني به أبي (عليه السلام) حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه أوصاه به قال :يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا إلا الله.(٤) وعن الإمام الباقر (عليه السلام): من كف غضبه عن الناس أقاله الله نفسه يوم القيام. (٥).[١١٧]

(١) نفس المصدر السابق
(٢)ميزان الحكمة ج٦ ص ٤٠
(٣)ميزان الحكمة ج ٦ ص ٣٩
(٤)نفس المصدر
(٥)ميزان الحكمة ج ص ٣٢٠

المطلب الاول: حلم الله تعالى

تتوالى نعم الله تعالى الظاهرة منها والباطنة والتي تغدق على العبد صباحا ومساء والكثير منها تقابل بالعصيان والنكران وتكون موجبة ومدعاة الى نزول غضبه وسخطه قال تعالى (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ) . (١) ولكنه تعالى مع ذلك يعامل عبده بحلمه وعفوه ويتجاوز عن سالف خطيئته ولا يقطع عنه كرمه ولا يحرمه من فضله .[١١٨]

وحين يعتدي العبد على حرمات الله ويتجاوز حدوده يلتجئ اليه طالبا العفو عن اساءته وطامعاً في قبول عذره في مسألته راجيا حلمه لدفع غضبه وسخطه.

ولكن من المحزن والمؤسف ان هذا العبد الظلوم لنفسه اذا ما اخطأ او تجاوز شخص بحقه وطلب العفو منه والحلم عنه لا يقبل عذره ولا يكترث بقوله بل يثور غاضبا وينهال عليه من الاذى والكلام اللاذع والجارح مما يندى له الجبين ، وكان الاحرى والواجب هو التخلق بأخلاق الله تعالى والاتصاف بصفاته فالعبد يسعى راجيا متوسلا بان يكون مرحوما ومغفوراً عند ربه وحائزاً على رضاه وكرمه ولا يسعى بالتأدّب والتخلق باخلاق الله تعالى بان يكون رحيما وحليمًا عن الناس وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) (٢) وعنه (صلى الله عليه وآله): يا

---

(١)النحل اية ٦١
(٢)ميزان الحكمة ج ٢ص ١٠٤٤

علي ! لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم، وإذا قيل لك: اتق الله فانبذ غضبك، وراجع حلمك.(١)

المطلب الثاني: دواعي الغضب:

ان الهيمنة والسلطة والشعور بالاستعلاء والزهو والكبر ومحقرة الناس واستغلال ضعفهم هي من اهم العوامل والأسباب التي تهيئ الأرضية الخصبة للوقوع في رذيلة الغضب فعن المسيح (عليه السلام) لما سئل عن بدء الغضب قال: الكبر، والتجبر ومحقرة الناس.(٢) ١١٩

فإذن: فظهور وبروز القوة الغضبية في جانبها السلبي يكشف ان المرء مبتلى بأمراض عديدة كالكبر والزهو والعجب والحمية وانه ضعيف الارادة في لجم النفس وفاقد الشجاعة في كظم الغيظ وضبط النفس وشجاعته وبأسه وسطوته قد صُبت لتشّفي والانتقام وإيذاء الآخرين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) — لأصحابه -: ما الصرعة فيكم ؟ قالوا: الشديد القوي الذي لا يوضع جنبه، فقال: بل الصرعة حق الصرعة رجل وكز الشيطان في قلبه واشتد غضبه وظهر دمه، ثم ذكر الله فصرع بحلمه غضبه.(٣) وعنه (صلى الله عليه وآله): الصرعة كل الصرعة ، الصرعة كل الصرعة، الصرعة كل الصرعة: الرجل الذي يغضب فيشتد غضبه، ويحمر وجهه، ويقشعر جلده، فيصرع غضبه.(٤)

---

(١) ميزان الحكمة ج ٧ ص ٣٢٠
(٢) نفس المصدر السابق
(٣) ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٢٦٦
(٤) نفس المصدر السابق

ان الغاضب قد طمس ودس اثمن ما يملك وهي جوهرة عقله فدّسها تحت ركام جذوة الغضب وشهوة الانتقام لأجل التشفي والانتقام وإفراغ سموم الحقد المتغلغلة في الصدر، فلا سبيل للنظر والتعقل بعد غلبة الغضب فأزال عنوان الانسانية عن نفسه وأصبح كالثور الهائج فعن الإمام علي (عليه السلام): من غلب عليه غضبه وشهوته فهو في حيز البهائم.(١)

وعنه علي (عليه السلام): الغضب يفسد الألباب، ويبعد من الصواب. (٢) فان الغضب نتيجة وثمرة مقدمات وأمراض معنوية كثيرة ساعدت في حدوثه كالأنانية والكبر والعجب والحقد لعلة الترابط والعلقة بين الأمراض المعنوية حالها كحال الأمراض البدنية ، فان تعلعل البدن بمرض معين قد يتسبب في حدوث أمراض آخر ، فالقلب المريض والملوّث بالجراثيم والفيروسات المعنوية الكامنة في قلب الإنسان سرعان ما تنقل العدوى الى قوى وغرائز نفسية اخرى ، فعلى سبيل المثال ان مرض الحقد الكامن في قلب الإنسان هو بمثابة قنبلة موقوتة تحتوي من مواد سامة على شكل أحقاد وضغائن ومن الممكن ان تنفجر في أية لحظة وذلك من خلال القوة الغضبية فهو يدفع ويثير القوة الغضبية الى النشاط والحركة فيبعث الى ثوران الدم والانتقام فعن علي (عليه السلام): الحقد مثار الغضب.(٣)

وما العبد المؤمن الذي استنار بنور الهدى والاستقامة يتحرك من ايمان راسخ وقلب طاهر وبصيرة ثاقبة يسير مبتغيا الرضا الالهي نائيا عن ارضاء النفس وإطفاء غليلها فلا يغضب لنفسه ولا لشهوته انما غضبه للّه سبحانه.[١٢٠]

---

(١)غرر الحكم ص ٢٠٨
(٢)غرر الحكم ص ٢٣
(٣)غرر الحكم ص ٢٠٢

فهذه الامراض القلبية انما تصفّد وتقيد ضعيف الارادة الخانع المستسلم لها اما العبد المؤمن فلا تغلّه ولا تفصّده – أي القوة الغضبية – لأنه شجاع وقوي بقوة اللّه سبحانه، وينُقل في السيرة ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) خرج يوما وقوم يدحون حجرا ، فقال: أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحملكم من عفا بعد المقدرة.(١)

المطلب الثالث: كظم الغيظ وأثاره المعنوية

ان الاعمال السيئة تحمل في طياتها وثناياها روائح كريهة وأذواق مرة وكدورات تصيب القلب فيضيق الصدر ويثقله عن الطاعة والذكر ومن الواضح ان الروائح الكريهة وضيق الصدر هي نتاج المعاصي والذنوب وهما من نتاج واسباب الاخلاد الى الارض والإعراض عن اللّه تعالى قال سبحانه (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا).(٢)

وعن الإمام علي (عليه السلام): تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب(٣).[١٢١]

وكذا بالنسبة الى الاعمال الحسنة والملكات الفاضلة فأنها تعقب رائحة طيبة ونشوة وحلاوة تلج الى قلب المؤمن كالإخلاص للّه سبحانه والتواضع والعفة والورع عن محارم اللّه تعالى فأنهن يدخلن حلاوة الايمان في قلب المؤمن. (٤)عن الإمام الكاظم (عليه السلام): قال المسيح (عليه السلام):

---

(١)تحف العقول ص ١٢
(٢)طه اية ١٢٤
(٣)ميزان الحكمة ج ٧ ص ٣٣٦
(٤)ميزان الحكمة ج ٢ ص ٣٨

يا عبيد السوء، نقوا القمح وطيبوه وأدقوا طحنه تجدوا طعمه ويهنئكم أكله، كذلك فأخلصوا الإيمان وأكملوه تجدوا حلاوته وينفعكم غبه.(١)

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة ؟ قالوا: وما حلاوة العبادة ؟ قال : التواضع ٥وعنه (صلى الله عليه وآله): النظر سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن تركها خوفا من الله أعطاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه.(٢) ١٢٢

فاذاً الغضب يعكّر صفوة القلب ويخرج رائحة كريهة وان إخماد نيران الغضب يعقب روائح ولمضات إيمانية مشرقة تداعب نسيم القلب فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): من كظم غيظا ملا الله جوفه إيمانا.(٣) وعن الإمام الباقر (عليه السلام):من كظم غيظا وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمنا وإيمانا يوم القيامة.(٤)

المطلب الرابع: علاج الغضب

وان اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين ذكروا حلولا علاجية لدفع ودرأ الغضب حال فوران الدم وتأجج شهوة الانتقام نذكر بعضها:

الصمت: فان كثرة الجدال والمماراة والعتاب وغير ذلك تجر الى نتائج وخيمة فالصمت أنجع – عن الإمام علي(عليه السلام): داووا الغضب بالصمت ، والشهوة بالعقل.(٥)

(١)ميزان الحكمة ج ١١ ص ١٧٩
(٢)نفس المصدر
(٣)نفس المصدر
(٤)نفس المصدر
(٥)نفس المصدر

الجلوس حال القيام والعكس: عن الإمام الباقر (عليه السلام): أيما رجل غضب وهو قائم فليجلس فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان، وإن كان جالسا فليقم.(١)[١٢٣]

التفكر: ان النظر في قدرة الله وسخطه وغضبه وحلمه على خلقه لهي من الحوافز المهمة في عملية كظم الغيظ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي! لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم، وإذا قيل لك: اتق الله فانبذ غضبك، وراجع حلمك.(٢

اذن: على الفرد ان يتحلّم ويخشى الله تعالى لا ان يزداد غضبا وصلافة اذا قيل له اتق الله (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ) . (٣)

---

(١)نفس المصدر
(٢)نفس المصدر
(٣)البقرة اية ٢٠٦.

- المبحث السادس عشر: الجزع
- المطلب الأول: الجزع انصب من الصبر
- المطلب الثاني الجزع يحبط الاعمال
- المطلب الثالث: انواع الجزع

الجزع

الجزع هو الاضطراب والقلق وضيق الصدر يصيب قلب الانسان عند نزول البلاء وهو من الاخلاق المذمومة في الاسلام.

ان العوارض والحالات التي تظهر على الجازع من فقدان السكينة والثبات والتصبر تكشف بوضوح لرآي ان المبتلى فاقد التسليم لقضاء الله سبحانه وعدم الرضا بما نزل به من البلاء وهذه الحالة لم تأت اعتباطا وجزافا بل هناك مناشئ وموجبات ولدت هذه الحالة المذمومة وعلى رأسها ضعف الايمان بقضاء الله تعالى ومشيئته القاهرة على العباد ومن تلك المناشئ التي اوصلت الجازع الى هذه النتيجة المؤسفة هو تلوث القلب بعالم الطبيعة فان توجيه بوصلة القلب الى عالم الدنيا والإعراض عن الله تعالى واليوم الاخر تسبب وتعطي هذه المضاعفات الخطيرة المنافية لشخصية الانسان المؤمن قال تعالى (إن الانسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا).(١)

ولكنه تعالى يستثني المصلّين والذين لهم رابطة وعلقة ايمانية بعالم الاخرة من الذم الوارد في الانسان الجازع بقوله تعالى(إِلا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالمحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ...[١٢٤]

اذن: فالمؤمن الذي هُدي بنور الإيمان والذي تعّلق قلبه بربه وحسن بلائه وما اعّده للصابرين من الأجر العظيم يوم لقائه ، ومعرفته ان الجزع لا

(١) المعارج اية ١٩
(٢) المعارج اية ٢٥

يغير ولا يبدّل المقدور ، وانه يحبط الأجر، ويكون العبد عند ربه مأزورا وملوماً فان هذه المعرفة النورانية والملكات الفاضلة والصفات الايمانية تولّد في قلبه طاقة ايمانية روحية تساعده وتعينه على استيعاب وتحمل المصيبة يقول تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ .(١) [١٢٥]

ولكن حينما تنفصل او تضعف علقة العبد ورابطته بربه يفقد العبد الاستقرار والثبات ويكون قلبه حينها عرضة لوسواس الشيطان اللعين فيلقي في روعه ما يلقي من الريبة والتشكيك بعدالة السماء.

ولذا نرى جملة من الناس ضعيفي الايمان كيف يعترضون على قضاء الله تعالى حين نزول البلاء ؟!! عن علي (عليه السلام): إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور) (٢) وعن الإمام الباقر (عليه السلام): من صبر واسترجع وحمد الله عند المصيبة، فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله ، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم ، وأحبط الله أجره.(٣)

ان هذا التفكير السطحي يكشف ويدل على هشاشة العقل وتمرض القلب فهؤلاء قد غفلوا ان دار الدنيا دار تمحيص واختبار وغربلة وليست دار نزهة وسياحة ولهو ، هي دار زرع وعمل وسباق وليست دار قرار وبقاء ،

---

(١)البقرة اية ١٥٥
(٢)ميزان الحكمة ج ٥ ص ١٧٢
(٣)نفس المصدر

وغدا هو يوم حصاد الزرع وقطف الثمار وان هذه المصائب والبلايا هي تحمل في ثناياها وبواطنها الصلوات والرحمة لمن صبر كما قال تعالى (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)(١) ولكن هذه البركات والكرامات تُبعد عن العبد بسبب جزعه واضطرابه واعتراضه على الارادة الالهية .

ان العبد المؤمن الذي نوّر الله قلبه للإيمان لا يفرّط بهذه النعم والمنح لعلمه ان البلايا هي سلّم ودرجات ترفعه الى منازل الكمال عند ربه وهي تحمل حقائق ملكوتية ورحمات لدنية من رب العزة فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تكون مؤمنا حتى تعد البلاء نعمة والرخاء محنة، لأن بلاء الدنيا نعمة في الآخرة، ورخاء الدنيا محنة في الآخرة.(٢)

وعن الامام الصادق (عليه السلام): أن بلاياه محشوة بكراماته الأبدية، ومحنه مورثة رضاه وقربه ولو بعد حي.(٣) [١٢٦]

وعنه (عليه السلام): المصائب منح من الله، والفقر مخزون عند الله. (٤)
وعنه (عليه السلام) - فيما أوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام) -: ما خلقت خلقا أحب إلي من عبدي المؤمن، فإني إنما ابتليته لما هو خير له، واعافيه لما هو خير له، وأزوي عنه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي.(٥)

(١)البقرة اية ١٥٧
(٢)ميزان الحكمة ج ١ ص ٢٩٥
(٣)نفس المصدر
(٤) نفس المصدر
(٥) مشكاة الانوار ٢٣٠

اما الجزع والاضطراب والويل والثبور عند المصيبة هي تُضّيع وتفوّت تلك النعم الربانية والمنح الالهية ولذا نقرأ في السيرة ان الامام الحسين سلام اللّه عليه في اليوم العاشر من المحرم يلتفت الى أخته زينب سلام اللّه عليها و يوصيها قائلا (يا اخية اتقي اللّه ، وتعزى بعزاء اللّه ، واعلمي ان اهل الارض يموتون ، وان اهل السماء لا يبقون ، وان كل شئ هالك الا وجه اللّه الذي خلق الارض بقدرته ...يا اخية اني اقسم عليك فابري قسمي ولا تشقى علي جيبا ،ولا تخمشي علي وجها ، ولا تدعى علي بالويل والثبور اذا انا هلكت.(١) [١٢٧]

فاذن هذه هي سنة اللّه تعالى في خلقه وحكمته في عباده في البلاء والامتحان قال تعالى (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ. (٢) وقال سبحانه (لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ.(٣)

المطلب الثاني: الجزع انصب من الصبر

لا شك المصيبة حال نزولها لها وقعة وإصابة واثر كبير على القلب وان الالتجاء الى اللّه تعالى في طلب المدد والعون والتصبر على الفواجع امر لابد منه حتى في اخر انفاس العبد لأنه ضعيف في تحمل الفوادح والبلايا وان إظهار الحاجة والضعف والمسكنة هي من سمات العبودية للّه تعالى وينقل ان الامام الحسين عليه السلام في لحظاته الاخيرة من الدنيا يتوجه

---

(١) مقتل الامام الحسين لاب مخنف ص ٢٨

(٢) العنكبوت اية ٣

(٣) الانفال اية ٣٧

روحي له الفدى ويلجأ الى ربه طالبا الصبر على قضائه فقال سلام اللّه عليه بعدما (طعنه صالح بن وهب على خاصرته طعنة ، فسقط عن فرسه على خده الأيمن وهو يقول: بسم اللّه وباللّه وفي سبيل اللّه وعلى ملّة رسول اللّه، ثم جعل يجمع التراب تحت يده كالوسادة فيضع خدّه عليها ثم يناجي ربّه قائلاً : صبراً على قضائك وبلائك ، يا رب لا معبود سواك.(١)

ولكن مع شدة الفاجعة والمصيبة التي تصيب الانسان وضرورة الصبر عليها ولكن الجزع اتعب وانصب من الصبر فالإنسان عند نزول البلاء ينال سهمه من المصيبة وان الجزع هو مصيبة اخرى واثر كبير على القلب فعن امير المؤمنين (عليه السلام) المصيبة واحدة، وإن جزعت صارت اثنتين.(٢) وعنه (عليه السلام): الجزع عند المصيبة أشد من المصيبة.(٣) وعنه (عليه السلام): الجزع أتعب من الصبر ..(٤)[١٢٨]

المطلب الثالث: الجزع يحبط الاعمال

والآثار الوضعية الناجمة من الجزع لا تقف عند مرحلة حرمان النفس من النفائس الروحية والصلوات والرحمات الملكوتية السابحة في ثنايا البلاء بل تحبط اجر العبد نتيجة الاضطراب وضيق الصدر والويل والثبور وعدم التحلي بالصبر والثبات والالتجاء الى اللّه سبحانه والتسليم لسنة اللّه تعالى وقضائه في غربلة عباده وتمحيصهم قال تعالى (وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.(٥) عن الإمام علي (عليه السلام):

(١)فاجعة الطف ص ٢١.
(٢)غرر الحكم ص ١٦٧
(٣)نفس المصدر
(٤)نفس المصدر
(٥)ال عمران اية ١٥٤

الجزع لا يدفع القدر، ولكن يحبط الأجر . (١) وعنه (عليه السلام): اغلبوا الجزع بالصبر، فإن الجزع يحبط الأجر ويعظم الفجيعة. (٢) وعنه (عليه السلام): من جزع فنفسه عذب، وأمرَ اللّه سبحانه أضاع، وثوابه باع. (٣) قال الإمام الصادق (عليه السلام): اتقوا اللّه واصبروا، فإنه من لم يصبر أهلكه الجزع، وإنما هلاكه في الجزع أنه إذا جزع لم يؤجر.(٤)

ثم ان هنالك كيفيات وحالات مختلفة تكشف عن حالة الجازع ويمكن ان تقسيمه الى اقسام :

القسم الاول الجزع الصوتي: كالعويل وهو البكاء والنحيب مع رفع الصوت بالصراخ.[١٢٩]

القسم الثاني الجزع القولي: وهو الدعاء بالويل والثبور أي بالهلاك والعذاب على النفس.

القسم الثالث الجزع الفعلي: وهو ضرب النفس او شق الثوب وخمش الوجه او جز الشعر او لطم الوجه او الصدر.

القسم الرابع الجزع القلبي: هو الجزع الذي يصيب قلب الانسان فينتابه الاضطراب والقلق وضيق الصدر وعدم رضاه بما نزل.

فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): صوتان يبغضهما اللّه: إعوال عند مصيبة، ومزمار عند نعمة.(٥). وعنه (صلى اللّه عليه وآله): ليس منا من

---

(١)غرر الحكم ص ١٧٦
(٢)نفس المصدر
(٣)ميزان الحكمة ج ١ ص ٣٨١
(٤)نفس المصدر
(٥)تحف العقول ص ١٢

ضرب الخدود وشق الجيوب.(١) وعن الإمام علي (عليه السلام): من ضرب بيده على فخذه عند لمصيبة حبط أجر.(٢) وعن الإمام الباقر (عليه السلام): أشد الجزع الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجز الشعر، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر، وأخذ في غير طريقه(٣) . وان رسول الله (صلى الله عليه وآله) - فيما كتب إلى بعض أصحابه يعزيه بابنه -: أما بعد، فعظم الله جل اسمه لك الأجر وألهمك الصبر... فلا تجمعن أن تحبط جزعك أجرك، وأن تندم غدا على ثواب مصيبتك، وإنك لو قدمت على ثوابها علمت أن المصيبة قد قصرت عنها، واعلم أن الجزع لا يرد فائتا، ولا يدفع حزن قضاء، فليذهب أسفك ما هو نازل بك مكان ابنك، والسلام.(٤) [١٣٠]

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) - لسماعة بن مهران -: ما حبسك عن الحج ؟ قال: قلت: جعلت فداك وقع علي دين كثير ، وذهب مالي ، وديني الذي قد لزمني هو أعظم من ذهاب مالي ، فلو لا أن رجلا من أصحابنا أخرجني ما قدرت أن أخرج. فقال لي: إن تصبر تغتبط، وإلا تصبر ينفذ الله مقاديره راضيا كنت أم كارها. نفس المصد رولكن يبقى البكاء والحزن على الميت من الامور الجائزة ولا محذور فيها بل قد يُستحب في بعضها فقد بكى رسول الله صلى الله عليه واله ابنه ابراهيم وقد نقل المجلسي في بحاره (أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيد عبد الرحمان بن عوف

(١) ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢٢
(٢) نفس المصدر
(٣) نفس المصدر
(٤) ميزان الحكمة ج ٥ ص١٧٢

فأتى إبراهيم وهو يجود بنفسه، فوضعه في حجره فقال: يا بنى اني لا املك لك من اللّه شيئا وذرفت عيناه، فقال له عبد الرحمان: يا رسول اللّه تبكي ؟ أولم تنه عن البكاء؟ قال: إنما نهيت عن النوح، عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعم: لعب ولهو ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة: خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان. إنما هذه رحمة، من لا يرحم لا يرحم، لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وسبيل باللّه وإن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك حزنا أشد من هذا، وإنا بك لمحزونون. تبكي العين، ويدمع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب عز وجل. وقد بكت فاطمة الزهراء على ابيها صلوات اللّه عليهم اجمعين وبكاء الامام السجاد على ابيه الامام الحسين عليهما السلام ...الخ .

بل حتى البكاء والحزن على الحي امر لا ضير فيه فان نبي اللّه يعقوب بكى ابنه يوسف حتى بيضت عيناه من الحزن، وبكى النبي الاكرم (صلوات اللّه عليه واله) الامام الحسين عليه السلام قبل ولادته وبعد ولادته لعلمه بما سيجري عليه من المصائب.

اذن: فالبكاء والحزن امر لا اشكال فيه مع التسليم والرضا بقضاء اللّه تعالى ولكنه اذا خلا من ذلك كان جزعا وهو المذموم والمحرم.

- المبحث السابع عشر: البكاء
- المطلب الأول: لماذا تجف الدموع؟
- المطلب الثاني: البكاء شذرات الخوف
- المطلب الثالث: بُكاء الخواص

البكاء

ان البكاء سمة الخشية والخشوع والتذلل والاستكانة والمسكنة ودليل الحب والعشق ، وانه ليرّقق القلب وليّنه ، والمداومة على البكاء خير معين لرقة القلب ونورانيته ، وتطهيره من الادران التي تتعلق على جدرانه قال تعالى (ومِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا. (١) وقال سبحانه (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) .(٢)

وان من اعظم الارزاق الالهية والالطاف المعنوية انُ يوّفق العبد للبكاء من خشية الله تعالى ومن جمالية البكاء انه خليط الحزن والحرقة والنشوة والراحة فعن الإمام علي (عليه السلام): بكاء العيون وخشية القلوب من رحمة الله تعالى ذكره، فإذا وجدتموها فاغتنموا الدعاء.(٣)

وان البكاء مع التملق والتذلل خير سبيل لاستنزال الغيث والرحمات الالهية ، فالصغار يمتلكون وسائل جميلة وأساليب لطيفة امام اهليهم كالتملّق والتودد ومنها البكاء لأجل دفع عقوبة عن انفسهم او لحصول اشياء منهم.[١٣١]

فالبكاء سواء كان خوفا من عقوبة او طمعا في مثوبة او تملقا للمحبوب او شكرا للمعبود كل تلكم المقاصد هن من علائم العبودية لله عز وجل وان

(١) مريم اية ٥٨
(٢) الاسراء اية ١٠٩
(٣) ميزان الحكمة ج ١ ٢٧٩

كان هناك بون واسع بينهن من جهة الاخلاص والمعرفة وهذه النكتة سيأتي طرف منها في اخر البحث ان شاء اللّه تعالى.[١٣٢]

اذن: البكاء هو من اظهر تجليات المسكنة والفقر والفاقة والإنابة ويتسبب في اطفاء الغضب الالهي وسخطه عن النبي (صلى اللّه عليه وآله): من خرج من عينيه مثل الذباب من الدمع من خشية اللّه آمنه اللّه به يوم الفزع الأكبر.(١)

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): ما من شئ إلا وله كيل أو وزن إلا الدموع ، فإن القطرة منها تطفي بحارا من نار، وإذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، فإذا فاضت حرمه اللّه على النار، ولو أن باكيا بكى في امة لرحموا .(٢)

عن علي عليه السلام قال يتكلم مع نوف:أراقد أنت يا نوف ؟» قال: لا يا أمير المؤمنين، ما أنا براقد، ولقد أطلت بكائي هذه الليلة، فقال : «يا نوف، إن طال بكاؤك في هذا الليل مخافة من اللّه عزّ وجلّ قرّت عيناك غداً بين يدي اللّه عزّ وجلّ. يا نوف، إنّه ليس من قطرة قطرت من عين رجل من خشية اللّه إلا أطفأت بحاراً من النيران. يا نوف، إنّه ليس من رجل أعظم منزلة عند اللّه من رجل بكى من خشية اللّه وأحبّ في اللّه وأبغض في اللّه.(٣).

---

(١) روضة الواعظين ج ٢ ص ٢٩
(٢)من لا يحضره الفقيه ص ٤٨
(٣)موسوعة الامام علي ج ١٠ ص ٨٦

المطلب الأول: لِمَ تجف الدموع؟

وحينما تجف دموع العبد عن البكاء من خشية الله يكشف عن قساوة القلب، وقساوته ناتجة عن كثرة الذنوب فعن الإمام علي (عليه السلام): ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب.(١) [١٣٣]

فلو ان اصحاب الذنوب والمعاصي حطّوا رحالهم عند اعتاب ربهم وأنابوا اليه بالتضرع والبكاء لما قست القلوب ولاستنزلوا مفاتيح الرحمة ولاستنارت القلوب من غفلتها عن امير المؤمنين عليه السلام : البكاء من خشية الله ينير القلب ويعصم من معاودة الذنب.(٢) وعنه عليه السلام : البكاء من خشية الله مفتاح الرحمن نفس المصدر وقال عليه السلام: بالبكاء من خشية الله تمحص الذنوب.. نفس المصدر وعن الامام الصادق عليهم السلام قال: إن الرجل ليكون بينه وبين الجنة أكثر مما بين الثرى إلى العرش، لكثرة ذنوبه ، فما هو إلا أن يبكي من خشية الله عز وجل ، ندما عليها حتى يصير بينه وبينها أقرب من جفنه إلى مقلته.(٣)

المطلب الثاني: البكاء من شذرات الخوف

ان استدامة الشعور بالتقصير في اداء حق المولى عز وجل والاعتراف بالتقصير لتحصيل الشكر على انعامه وفضائله امر محبوب ومطلوب فعن الإمام الكاظم (عليه السلام): عليك بالجد، لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله عز وجل وطاعته، فإن الله لا يعبد حق عبادته.(٤)

---

(١)مشكاة الانوار ص ١٩٦
(٢)غرر ص ١٢٥
(٣)روضة الواعظين ج٢ ص ٢٨
(٤)وسائل الشيعة ج ١٢ ص ١٤

وعنه (عليه السلام): أكثر من أن تقول: اللهم لا تجعلني من المعارين ولا تخرجني من التقصير، قال: قلت : أما المعارون فقد عرفت أن الرجل يعار الدين ثم يخرج منه ، فما معنى لا تخرجني من التقصير ؟ فقال : كل عمل تريد به الله عز وجل فكن فيه مقصرا عند نفسك ، فإن الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون إلا من عصمه الله عز وجل.(١)[١٣٤]

فاذن فالشعور بالتقصير امام عظمة الباري امر ضروري ولو مع الطاعة والمنزلة الخصيصة ، ومن اسباب نشوء هذا الدافع في القلب العبد هو الخوف مكر الله ومن سوء العاقبة ...ففي دعاء السجاد عليه السلام:الهي اِنَّ رَجآئي لا يَنْقَطِعُ عَنْكَ وَاِنْ عَصَيْتُكَ ، كَما اَنَّ خَوْفي لا يُزايِلُني وَاِنْ اَطَعْتُكَ.(٢)

ومن ثمرات الخوف وحسناته المباركة هو كثرة البكاء من خشية الله تعالى سواء اكان البكاء طلبا للعفو عن تقصير تجاه نعم الله وإحسانه او غفراناً للذنوب والآثام فعن النبي (صلى الله عليه وآله): طوبى لصورة نظر الله إليها تبكي على ذنب من خشية الله عز وجل ، لم يطلع على ذلك الذنب غيره. (٣) وعنه (صلى الله عليه وآله) وفي خطبة الوداع : ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة من دموعه مثل جبل احد يكون في ميزانه من الأجر.(٤)

---

(١)نفس المصدر السابق
(٢)مفاتيح الجنان
(٣)وسائل الشيعة ج ١٥
(٤)ميزان الحكمة ج ١ ص ٢٨٧

ان اغلاق باب التضرع والبكاء من خشية اللّه تعالى انما هو علامة الشقاء وحرمان النفس من الفيوضات والتوفيقات الإلهية التي تغدق وتفاض على البكّائين فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): من علامات الشقاء جمود العين (١) وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام): ما من قطرة أحب إلى اللّه عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل اللّه ، وقطرة دمعة في سواد الليل ، لا يريد بها عبد إلا اللّه عز وجل(٢).[١٣٥]

وان العالم المجهول الذي ينتظر الانسان ما بعد الموت من ظلمة القبر ووحشته وغربته وضيق لحده وسؤال منكر ونكير والوقوف بين يدي اللّه للحساب كل هذه المواقف العظيمة والمخيفة تجعل المؤمن مشغول الفكر دائم الخوف والحذر من موجبات العقاب فمن الضروري التضرع والبكاء وطلب النجاة من رب المتعال.

فليس لدينا صك الغفران ولا فيزا عبور الى جنات النعيم، وما وعُدنا بالجنة كما وعُد الخواص من عباده، وفيما أوحي اللّه إلى موسى (عليه السلام) -: ابك على نفسك ما دمت في الدنيا، وتخوف العطب والمهالك ، ولا تغرنك زينة الحياة الدنيا وزهرتها.(٣) وعن النبي (صلى اللّه عليه وآله): سبعة في ظل عرش اللّه عز وجل يوم لا ظل إلا ظله:... ورجل ذكر اللّه عز وجل خاليا ففاضت عيناه من خشية اللّه.(٤)

---

(١) نفس المصدر ص ٢٨٠
(٢)نفس المصدر
(٣) نفس المصدر
(٤)نفس المصدر

اذن: ان من العقل لمن يريد ان يُقدم الى ذلك العالم المجهول والغريب والمديد ان يتوسل بعين دامعة وقلب حزين الى اللّه تعالى بان يتفضل عليه برحمته وعطفه وحلمه وان يتولى امره ويحشره مع محمد وأهل بيته (صلوات اللّه عليهم اجمعين)يقول الامام السجاد في دعائه : وَمالي لا اَبْكي وَلا اَدْري اِلى ما يَكُونُ مَصيري ، وَاَرى نَفْسي تُخادِعُني ، وَاَيّامي تُخاتِلُني ، وَقَدْ خَفَقَتْ عِنْدَ رَأسي اَجْنِحَةُ الْمَوْتِ ، فَمالي لا اَبْكي اَبْكي ، لِخُروجِ نَفْسي ، اَبْكي لِظُلْمَةِ قَبْري، اَبْكي لِضيقِ لحَدي، اَبْكي لِسُؤالِ مُنْكَر وَنَكير اِيّايَ، اَبْكي لِخُرُوجي مِنْ قَبْري عُرْياناً ذَليلاً حامِلاً ثِقْلي عَلى ظَهْري ، اَنْظُرُ مَرَّةً عَنْ يميني وَاُخْرى عَنْ شِمالي ، اِذِ الخَلائِقِ في شَأن غَيْرِ شَأني ..الخ . [١٣٦]

المطلب الثالث: بُكاء الخواص

وهناك بكاء لخواص عباده وهو بكاء الحب والعشق للمحبوب الاوحد لا خوفا من نار ولا طمعا في جنة وتذكر كتب السيرة عن نبي اللّه شعيب (على نبينا واله وعليه افضل الصلوات والتحيات) انه كان كثير البكاء حبا للّه سبحانه فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه واله) : بكى شعيب (عليه السلام من حب اللّه عز وجل حتى عمي , فردّ اللّه عز وجل عليه بصره , ثم بكى حتى عمي فرد اللّه عليه بصره , ثم بكى حتى عمي فرد اللّه عليه بصره , فلما كانت الرابعة اوحى اللّه اليه : يا شعيب , الى متى يكون هذا

---

(١) مفاتيح الجنان

ابدا منك ؟ فقد اجرتك , وان يكن شوقا الى الجنة فقد ابحتك . قال : الهي وسيدي , انت تعلم اني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا الى جنتك , ولكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر او اراك . فأوحى اللّٰه جل جلاله اليه: اما اذا كان هذا هكذا فمن اجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران.(١)

وان بكاء اهل البيت عليهم السلام في حبهم لله سبحانه لهي اشهر من نار على علم وان تراثهم وسيرتهم في أدعيتهم وأحوالهم تشهد بأنهم كانوا بكل وجودهم ووجدانهم وشغفهم وولهم يتوجهون الى بارئهم .

ومن دعاء الامام زين العابدين(عليه السلام) وهو متعلق بأستار الكعبة -: نامت العيون، وعلت النجوم، وأنت الملك الحي القيوم، غلقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حراسها، وبابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إلي برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم أنشأ يقول: يا من يجيب دعا المضطر في الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم قد نام وفدك حول البيت قاطبة * وأنت وحدك يا قيوم لم تنم أدعوك رب دعاء قد أمرت به * فارحم بكائي بحق البيت والحرم إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف * فمن يجود على العاصين بالنعم.(١٣٧٢)

اذن: فالبكاء من افضل الكمالات المعنوية وانه خير سبيل للإزالة الآثام والرين عن القلب فهو يعيد الحيوية والنقاوة الى القلب من جديد .

---

(١)علل الشرائع ص ٨٤
(٢) ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٢٤٦

المبحث الثامن عشر: سوء الظن

المطلب الأول: قلب الحدث كالأرض الخالية

المطلب الثاني: سوء الظن بالله تعالى

سوء الظن

من الامراض القلبية التي لا تقل خطورة عن أخواتها في الفتك وتمريض القلب وتلويثه هو داء سوء الظن وقد ورد النهي عنه بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ اثم).(١) [١٣٨]

من سلبيات واثار هذا المرض ان مسيء الظن بالطرف الاخر لا يستند الى اية حجة تمكّنه من الاعتماد عليها وان جُلّ ما عنده هي تخمينات وظنون قد نسجها له عقله بلا دليل يقيني.

وان مسيء الظن وان كان قد يصيب الواقع في بعض الحالات ولكن هذا لا يعطي له الضوء الاخضر بان يسير وفق ظنه لأنه بسوء ظنه حتما سوف يخطأ البعض وهؤلاء البعض لهم الحصانة من قبل الشرع والعرف بان تحفظ حرمتهم ومكانتهم من الخدش والإساءة ولذا ورد الاجتناب عن كثير الظن.

ان قلب الانسان معرض لحديث النفس والى إلقاءات الشيطان وكلاهما لا يضطران الانسان الى الانصياع والإكراه اليهما بل تبقى ارادة الإنسان هي الحاكمة على قلبه، فعلى المؤمن ان لا يسترسل مع الخواطر واللقاءات التي تحوم حول قلبه، بل يجابهها بخلاف ما تريده نفسه الأمارة بالسوء بان يحسن الظن بالآخرين تجنبا للوقوع بهذا الداء الخطير حقيقة ان النفس تحتاج الى مراجعة لملفاتها ونظرياتها المتجذرة في العقل والفكر فما اكثر الذين نرميهم بسهام سوء الظن من دون وجود أي برهان وحجة يمكن

---

(١) الحجرات اية ١٢

الاعتماد والاستناد عليه انما هي مجرد أوليات قديمة قد أكل الدهر عليها وشرب او الاعتماد على قال فلان وقال الراوي !! ثم لو تنّزلنا وقلنا ان جملة من الناس كان عندهم في غابر الزمان بعض الهفوات والزلات ولكن لماذا نتغافل عن رحمة اللّه ومغفرته وانه عز وجل يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فما ادرانا لعل اللّه قد قبل توبتهم وعفى عن ذنوبهم وتغيّر حالهم الى احسن حال ونحن ما زلنا نرميهم بسهام التهمة ؟ أوَ ليس الحري بنا ان نوجد لهم العذر تلو العذر وفاءا الإخوة الإيمانية ؟؟ .. الخ عن الإمام علي (عليه السلام): اطرحوا سوء الظن بينكم فإن اللّه عز وجل نهى عن ذلك.(١) وعنه (عليه السلام): الشرير لا يظن بأحد خيرا، لأنه لا يراه إلا بطبع نفسه(٢).[١٣٩]

المطلب الاول: قلب الحدث كالأرض الخالية

قلنا ان سوء الظن قد ينتاب القلب الانسان بسبب حديث النفس او اللقاءات الشيطانية لكن تارة يكون نشوء سوء الظن من إفرازات اخرى كالعداوة والحقد والمصالح النفعية فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): اعلم يا علي ! أن الجبن والبخل والحرص غريزة واحدة ، يجمعها سوء الظن.(٣)

ومن هنا يعلم ان الأمراض القلبية –وخاصة مرض سوء الظن – تفرز امراضاً كثيرة فتتراكم الامراض على القلب فيكون كقطع الليل المظلم،

---

(١)الخصال ص ١٥٥
(٢)غرر الحكم ص ٥٤
(٣)ميزان الحكمة ج ٦ ص ٥٦

ولذا من الضروري لمن اراد تجنب قسوة القلب ان يبادر الى قلع الاشواك التي تضر بأرضية القلب.

ففي وصية امير المؤمنين لابنه الامام الحسن صلوات الله عليهما (.. بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ اَلْهَوَى أَوْ فِتَنِ اَلدُّنْيَا فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ اَلنَّفُورِ وَإِنمَا قَلْبُ اَلحَدَثِ كَالأَرْضِ اَلخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْ ءٍ قَبِلَتْهُ فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ).(١) ١٤٠

المطلب الثاني: سوء الظن بالله تعالى

ان جعل الانسان مستخَلف على هذه الارض المعمورة لغرض تحصيل الكمالات ورفع الدرجات ، ومن المعلوم ان هذه الاغراض لا تتأتى عن طريق عصا موسى ومنافاتها للحكمة الإلهية القائمة على الأخذ بالعلل والاسباب ، والحكمة الالهية اقتضت ان المقامات الرفيعة لا تُعطى الا بعد غربلة العبد وتمحيصه تمحيصا يستحق ان يكون جديرا ومؤهلا لنيل وسام القرب والرضا من الله سبحانه قال تعالى (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ).(٢)

---

(١)نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٨
(٢)العنكبوت اية ٢

فعند الغربلة والاختبار تظهر معادن الناس وتكتشف بواطنهم المستورة فيفتن المرء بشتى الفتن والمحن التي قد لا توافق مع هواه ولا تنسجم مع رغباته وقد يراها خلافا للعدالة الربانية والحكمة الالهية.

وفي خضم هذه الفتن المظلمة يبرز ايمان الرجل وصلابة قلبه فهذا عمار بن ياسر رضوان الله عليه يسّجل موقفا عظيما يكشف عن صلابة ايمانه وعقيدته وقد قال عنه رسول الله (صلى الله عليه واله) (ان عمارا ملئ ايمانا من رأسه الى اخمص قدميه) وفي واقعة الجمل وقد ناهز التسعين من عمره يقاتل بين يدي امير المؤمنين عليه السلام وقال قولته المشهورة (أما والله لو ضربتمونا حتى تبلغونا سعفات هجر لعلمنا إنا على الحق وأنكم على الباطل.(١)

فهذا الموقف يكشف عن اجلى صور البصيرة وعن نورانية القلب والثقة بالله وحسن الظن به فلم يدع بصيص الارتياب وسوء الظن بالله ان ينفذ الى مسامع قلبه وعقله وان زحف بهم العدو الى سعفات هجر فلا يتزحزح الايمان من قلبه لأنه على دين الحق وأهله.[١٤١]

وأما القلوب الواجفة التي ما ان ابُتليت (بشيء من الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ).(٢)

حتى كانت الشكوى والاعتراض والاستنكار بادية على لسان حالها لماذا؟ وكيف؟ ومتى؟ ..

(١)موسوعة الامام علي ج ٩ ص ٣١٢
(٢)البقرة اية ١٥٥

هؤلاء يريدون الحياة الدنيا كجنة الاخرة ونعيمها لا يصيبهم نصب ولا لغوب ويتمتعون في الدنيا بجنات تجري من تحتهم الانهار يأتيهم رزقهم رغدا بكرة وعشية!! ان هذا لشيء عجاب؟ وهل خُلقنا لأجل التمتع بنعم الدنيا وملذاتها من دون تنالنا المنغصات والمصائب ثم ينقل بنا الى جنة الفردوس؟ كلا وألف كلا لو كان الامر كما يريدون لكان وجودنا عبثا تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا قال تعالى (أَفَحَسِبْتُمْ أَنمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ) (١) وقال سبحانه (لِيَمِيزَ اللّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)(٢)

اذن اعزتي: ان الظروف مهما كانت قاسية وتسير عكس رغباتنا وتوجهاتنا فان لحق المولوية علينا ان نظهر اجلى علائم الرضا والثقة به ، وان نطرد عن ساحة قلوبنا الظنون المريبة التي لا تنسجم مع روح التوحيد وان نروّض قلوبنا على حُسن الظن بخالقنا وحكمته ، فان ما منع عنا من الحكمة خفيت عن كليم الله إدراكها فكيف أدناه مرتبة ؟ .[١٤٢]

وان النعم اذا زُويت عن العبد انما لعلة المصلحة لو كانت لجلبت المفسدة وعجلّت في هلاك العبد ! فسلّم الحال الى رب المتعال وكن قرير العين مطمئن البال فهو ادرى بمصالح العباد وفي الحديث القدسي (فلا يتكل العاملون على أعمالهم و إن حسنت، ولا ييأس المذنبون من مغفرتي لذنوبهم وإن كثرت ، لكن برحمتي فليثقوا، ولفضلي فليرجوا ،وإلى حسن نظري فليطمئنوا ،وذلك أني أدبر عبادي بما يصلحهم ، و أنا بهم لطيف خبير.(٣)

---

(١)المؤمنون اية ١١٥

(٢) الانفال اية ٣٧.

(٣)مسند الامام الرضا ١٢٢

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): والذي لا إله إلا هو، لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن ، لأن الله كريم بيده الخيرات ،

يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه.(١) [١٤٣]

وعن الإمام الرضا (عليه السلام): أحسن الظن بالله، فإن الله عز وجل يقول : أنا عند ظن عبدي المؤمن بي ، إن خيرا فخيرا ، وإن شرا فشرا.(٢)

---

(١)وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٢١١
(٢)ميزان الحكمة ج ٦ ص ٦١

المبحث التاسع عشر: مرض الحقد
وظيفة المحقود

مرض الحقد

ان الحقد من الامراض والسموم الخبيثة التي ما ان تلج في القلب وتستفحل فيه حتى كادت ان تهلك صاحبها وتقضي على طهارة ونقاوة قلبه بسبب الغل والضغينة في قلب الحاقد، وان ابرز الاسباب لنشوء هذا المرض والداء هي العداوة والحسد والجهل والكبر ..[١٤٤]

وهذا المرض لا يتوافق مع روح الايمان ولا ينسجم مع ذوي القلوب الطاهرة والنفوس العالية فأنها تترفع عن هذه النواقص والرذائل من الاخلاق المخالفة لطبائع الاخيار والموافقة لطبائع الاشرار يقول علي عليه السلام (الحقد من طبائع الأشرار .(١)

ولذا ينبغي التأدب بأدب القران الكريم وتعاليمه السامية فهو يثني على المؤمنين الذين يتوجهون الى ربهم بالدعاء والتضرع لإزالة الاغلال والأحقاد من قلوبهم يقول تعالى (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (٢) وقال سبحانه (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْأَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ).(٣)

فالهواء الذي نستنشقه ينعدم تدريجيا كلما ازددنا صعودا الى السماء مما يسبب لنا اختناقا وضيقا في التنفس حتى نهلك.

---

(١)غرر الحكم ص ٢٠٢
(٢)الحشر الزمر اية١٠
(٣)الأنعام اية ١٢٥

وكذا الامراض والملكات الفاسدة كلما ازدادت ولوجا ورسوخاً في قلب الفرد زادته اختناقا وضيقا حتى ترديه صريعا قال تعالى * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا .(١) ١٤٥

فالحقد يرمي بصاحبه في دوامة مضطربة وهموم ملتهبة تسعر في داخله كالنار المتأججة فيفقد القلب حلاوة الايمان ونورانيته وسكينته وتفقد النفس روح التسامح والعفو والتجاوز ولكن حال طرحه -الحقد- يفيض على القلب جو هادئ مفعم بالاطمئنان والسكينة يقول علي عليه السلام (من اطرح الحقد استراح قلبه ولبه) (٢) وقال صلوات الله عليه (الحقود معذب النفس متضاعف الهم) (٣) وقال عليه السلام :الحقود لا راحة له .(٤).

ان الحقد طاقة سلبية تتمركز في القلب الحاقد وعادة ما تولّد جذوة الانتقام والبغي او تمنّي وقوع المحقود في ضرر بغية التشفي والابتهاج ، وكل ذلك من الأمراض القلبية الخطيرة على سلامة القلب .

وظيفة المحقود

وأما المحقود: وهو الذي وقع عليه حقد الحاقد ففي حال علمه بحقد الاخر عليه فلا يجوز له ان يقابل الطاقة السلبية بالسلب وهي المعاملة المثلية (أي الحقد بالحقد) حتى لا ينقل العدوى الى قلبه فيصاب بمرض الحقد والغل فان الامراض القلبية حالها حال الامراض المادية التي تنقل

---

(١) البقرة اية ١٠
(٢) غرر الحكم ص ١٠٦
(٣) نفس المصدر
(٤) نفس المصدر

العدوى من شخص الى اخر فوقاية القلب تكون بالتجاهل والإعراض وغير ذلك كما سيأتي تبعا .

وكذا لا يسمح لنفسه (أي المحقود) ان تجور وتظلم لأن ذلك ينافي حقيقة التقوى يقول تعالى (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).[146]

والشنآن: هي الاحقاد والشانئ هو الحاقد قال تعالى(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ).(٢)

وقد ترتقي نفس المؤمن الى درجة عالية من الكمال والمعرفة فيتوجه المحقود الى ربه بالدعاء ان يُبدل قلوب الحاقدين بالمودة والمحبة كما نقرأ ذلك في دعاء الاخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام (أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَئَانِ المحَبَّةَ).(٣)

ان القلوب هي سكن وعش اسماء الله الحسنى كالرحمة والكرم والعفو والسلامة .. وان زرع القلب بصفات تغايرها كالحقد والغل والانتقام.. انما هو إبدال الصالح بالفاسد والطيب بالخبيث والخير بالأدنى قال تعالى (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ).(٤)

ان نمو هذه الاشواك السامة والاورام الخبيثة على صفحة القلب هي تضرّ الفرد بحيث تصدّه عن الرؤية الصحيحة وتمنعه عن تشخيص الأشياء بصورة جلية وواضحة فيرى الحق دائما الى جانبه ومعه وان غيره على

---

(١)المائدة اية ٨
(٢)الكوثر اية ٣
(٣)مفاتيح الجنان
(٤)البقرة اية ٦١

الباطل لان مرآة قلبه تعكس صورا مقلوبة ومعكوسة، وكلما ازدادت سمكها ورينها على القلب صعب اجبار المكسور لاستفحال المرض وضعفت الإرادة عن مقاومة المرض.

اما القلوب الواعية والمستنيرة بنور المعرفة فحينما يكون طموحها ومقصودها وغايتها وأملها هو رضا الله تعالى فلا شغل لها بالسفاسف والمحقرات ولا يوجد على صفحات قلوبهم معنى الحقد والانتقام عن ابي عبد الله (عليه السلام) في حديث انه قال للكميت : ان الله يحب معالي الامور ويكره سفسافها .(١) ١٤٧

اخي في الله: ان قلوبنا لا تخفى على خالقها فهو يحول بيننا وبينها وهو غيور لا يرضى ان يسكن في حريم القلب ما لا يحب والكّمل من عباده لا يتعرضون لسخط المحبوب خشية اعراض وجه المولى عنهم فهم دائما على أعتاب بابه يتملقون في ليلهم ونهارهم لعل نسائم الحب ان تطل على قلوبهم الواله والتوآقة للقاء المعشوق فتُقّرب البعيد وتزيل عنهم ألم الفراق قال سبحانه (مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٢) وفي دعاء السجاد عليه السلام (يا ذَا الجَلالِ والإكرام حَبِّبْ الَيَّ لِقاءِكَ وَاَحْبِبْ لِقائي ، وَاجْعَلْ لي في لِقائِكَ الرّاحَةَ وَالْفَرَجَ وَالْكَرامَةَ.(٣)

(١)ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٠٦
(٢)العنكبوت اية ٥
(٣)مفاتيح الجنان

المبحث العشرون: طول الامل

طول الأمل

ان طول الأمل من ابرز العوامل المؤثرة في إطفاء نورانية القلب، وان الفرد كلما زاد توغلا وتعلقاً وتثبّتاً وولعاً بزخارف الدنيا الفانية ادى أثره السلبي الذي لا مناص منه في قساوة القلب و أعماه عن رؤية الحق ونسيان ذكر الله والتزود ليوم الاخر ولذا ورد التحذير الشديد من طول الامل فقد جاء في الخبر (فيما ناجى الله عز وجل موسى(عليه السلام : يا موسى ، لا تطول في الدنيا أملك فيقسو قلبك، والقاسي القلب مني بعيد .(١)[١٤٨]

ان اصحاب القلوب والمعرفة يعدون البُعد عن الله سبحانه من اشد العقوبات المعنوية على العبد لان في البعد تنقطع العنايات الخاصة والالطاف الالهية والعبد في حال كونه مطيعا خائفا ملتزما لا يستغني عن سحائب الرحمة ومفاتيح التوفيق فكيف اذا ادبر موليا عنه (ولم يُرِد إلا الحياة الدنيا) ؟ والعبد فقير وضعيف في كل احواله فلا يستطيع ان ينال الكمال والدرجات القرب والمنى إلا بفضل الله ورحمته، وان طول الامل في الدنيا موجب لقساوة القلب والقساوة تعني البعد عن الفيض والتسديد الالهي.

وهذا البعد والحجاب الذي تحقق بإرادة العبد في تحجّر القلب له انتكاسة وعقوبة مادية ومعنوية دنيوية وأخروية قال تعالى (كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُون كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لمحْجُوبُونَ.(٢)

---

(١) اعلام الدين ج ١٤ ص ١٢

(٢) المطففين اية ١٥

وفي ادعية الائمة المعصومين عليهم السلام توجد مقاطع كثيرة تدّل على الاستعاذة والالتجاء الى الله تعالى خشية البعد والطرد من جنابه تقدست آلائه فمن تلك الادعية (إلهي أَتَراكَ بَعْدَ الايمانِ بِكَ تُعَذِّبُني، أَمْ بَعْدَ حُبِّي إيَّاكَ تُبَعِّدُني)٢(وَلا تَقْطَعْني عَنْكَ ، وَلا تُبْعِدْني مِنْكَ يا نَعيمي وَجَنَّتي ، وَيا دُنْيايَ وَآخِرَتي ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ.) ٣(.وَبِجَنابِكَ اَنْتَسِبُ فَلا تُبْعِدْني ،وَبِبابِكَ اَقِفُ فَلا تَطْرُدْني ..).

وان من ينظر ويتدبر في تقلّب وتغيّر احوال اهل الدنيا من حال الى حال كيف له ان تطاوعه نفسه بالاطمئنان بكيدها وغدرها والرضا بها دارا ؟ .

ان طول الامل بالعيش الرغيد بعالم الطبيعة يجعل قلب العبد غافلا عن سهام الدهر الذي لا تخطأ رميته حيث يرمي الصحيح بالسقم والحي بالموت والعزيز بالذل والمهانة وناهيك عن احوال يوم القيامة وما فيها المواقف التي لا مفر من مواجهتها فعن الإمام علي (عليه السلام): من أيقن أنه يفارق الأحباب ويسكن التراب ويواجه الحساب ويستغني عما خلف ويفتقر إلى ما قدم ، كان حرياً بقصر الأمل وطول العمل.(١) [١٤٩]

وان القلوب اذا ما تغيرت عن مسارها الصحيح اخذت بالاستئناس والتعلق بذلك الشيء فيجّند المرء بعد هذا الانس والعشق قواه بالدفاع عن كل قوة وارادة تحاول ثنيه عن معشوقه ومطلوبه الذي يراه الكمال المطلق فيرفض كل دعوة واصلاح تقف امام رغباته وان كان الداعي الى ذلك الشيء عظيما شريفا وقد ذكر القرآن الكريم شواهد كثيرة عن أنبياء الله الذين تلقّوا من اعدائهم الرفض والعناد كقوله تعالى (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ

(١) ميزان الحكمة ج ١١ ص ٤٢٥

وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آَلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آَلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ.(١) وقال سبحانه * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آَمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ .(٢)[١٥٠]

وهذا المعترك والمنحدر الخطير ما كان ليحدث لولا انصباب قلب العبد على الدنيا وجعلها سكناً ومقراً ، وعزوفه عن الاخرة قال تعالى:(ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى واضل سبيلا).(٣) وعن النبي (صلى اللّه عليه وآله): أعمى العمى عمى الضلالة بعد الهدى، وشر العمى عمى القلب).(٤)

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): إنما الأعمى أعمى القلب * (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).(٥)

اذن: ان المرء اذا ما اتبع شهواته وأهوائه النفسية بسبب طول الأمل وانصهاره بالملذات الحيوانية فانه يزيغ قلبه عن الهدى والحق وبالتالي ان ما يتلذذ به القلب ويستأنس به من جمال الطبيعة هي بالحقيقة نيران مستعرة وسوف تظهر تلكم الشهوات على شكل نيران تحرق القلب يقول

---

(١)هود اية ٥٤
(٢)الاعراف اية ٧٥
(٣)الاسراء اية ٧٢
(٤)ميزان الحكمة ج ٨ ص٣٢٧
(٥)نفس المصدر

تعالى عن تلك النار (نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ.(١) ١٥١

ان قسوة القلب وتلوثه بشهوات عالم الطبيعة ليست مسألة لهوية او مزاجية بل هي مسالة جدّ خطيرة ولها عواقب وخيمة على عاقبة العبد ، فهو انقلاب وزيغ عن الغاية والهدف الذي خُلق الإنسان من اجله ، فالإنسان حينما يعرض عن الله تعالى والآخرة يعني ذلك انه علق وربط قلبه بمحور ومركز مغاير عن الهدف الصحيح وهذا المآل ما كان ليكون لولا نسيان الاخرة ونسيان الاخرة ما كان لتكون لولا وجود طول الامل .عن سُليم بن قيس الهلالي قال : خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال : ألا إن أخوف ما أخاف عليكم خلتان : اتباع الهوى وطول الامل أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسي الآخرة ، ألا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وإن غدا حساب ولا عمل.(٢)

(وروى) ان اسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمع رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال : ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر ؟ ان اسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي وظننت انى خافضه حتى اقبض ولا لقمت لقمة إلا ظننت انى لا اسيغها اتحصر

(١)الهمزة اية ٦
(٢)شرح اصول الكافي ج ١٩ ص ١٤٨

بها من الموت ثم قال يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذى نفسى بيده إنما توعدون وما انتم بمعجزين.(١) ١٥٢

ثم ان قصر الامل لا يعني ان يلقي الفلاح معوله والمعلم قلمه ويغلق البائع دكانه فهذا فهم لا ينسجم مع روح الاسلامي الاصيل وقيمه النبيلة الذي يطالب الناس باستعمار الارض والسعي في مناكبها انما يدعو الى الاعتدال والوسطية والحركة قال تعالى (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ).(٢)

وقال (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ).(٣)

اذن: فطول الامل يفتح نوافذ الشر على مصراعيه لمن آثر الحياة الدنيا على الاخرة.

فالمكبّ على متع الدنيا اذا ما سنحت له بارقة المعصية ولجها مسرورا مطمئنا لا يرى اية شائبة في عمله السيء ثم يزداد ولوجا وغيا في المعاصي والذنوب حتى يعلو القلبَ حجابٌ سميكٌ من الرين فحينها لا تكاد المواعظ تلقي ظلالها وعللها في التأثير على القلب لما اصابه من الامراض المزمنة إلا ان يشاء الله تعالى .

---

(١)مشكاة الانوار ص ٦٦

(٢)القصص اية ٧٧

(٣)الاعراف اية ٣٢

نعم ان الباري عز وجل لا يغلق بابه امام عباده فان آب العبد عن المعصية آب اللّه عليه بالتوبة والغفران ومن طرق بابه وطلب حاجته لا يرده خائبا لان الكرم سمته والعفو صفته وفضله.

ولكن في نفس الوقت على العاقل ان لا يسّوف التوبة فالموت لا يأتي الا بغتة يأخذ الحي على حين غرة وغفلة وان التوفيق للتوبة ليس طريقا معبّدا للجميع فما اكثر الذين ماتوا ولم يحالفهم التوفيق للتوبة بل مات الكثير وهم مصرون على الذنوب ويعدون اعمالهم الشيطانية مفخرة في حياتهم كالخوارج وقاتلي الحسين وأهل بيته صلوات اللّه عليهم اجمعين ومن لفَ لفيفهم.

المبحث الحادي والعشرون: مرض الحسد

الحسود لا راحة له

الحسد

الحسد هو تمني زوال النعمة من الغير وهو بلا شك من اشد الامراض القلبية على النفس فعن امير المؤمنين عليه السلام: لا داء كالحسد.(١)
وقال عليه السلام : الحسد شر الأمراض.(٢)[١٥٣]

والنعم المحسودة تشمل الأمور المادية كالغنى والجسم والجمال وتشمل الامور المعنوية كالمكانة والمنزلة الخصيصة عند الله تعالى والعلم والجاه والمنصب والنسب وغير ذلك وبعبارة مختصرة اوجزها الخاتم صلى الله عليه واله (ان كل ذي نعمة محسود).(٣)

ولذا امُرنا بالاستعاذة بالله تعالى من كيد الحاسد تحّرزا منه قال تعالى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ... وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ).(٤)

فالحسد امر وجودي وواقعي في عالم الامكان لو كان عدميا لما امر سبحانه بالتعوذ منه دفعا من كيد الحاسدين ولكان امره عبثيا في حال عدمه.

ويدعمه ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): بضرورة كتمان الحوائج سلامة من الحسد: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود.(٥)

---

(١)غرر الحكم ص٢٠٧
(٢)نفس المصدر
(٣)ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢٩٦
(٤)الفلق اية ٣
(٥)ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢٩٦

ولا ريب ان مرض الحسد لم يتأت من فراغ بل هناك موجبات ومقدمات ساهمت في ايجاده ومن تلكم الامراض الطمع وانعدام القناعة وعدم الرضا بما قسم المولى عز وجل لعباده.

ومن المعلوم ان النعم الالهية انما تُعطى وتمنع حسب الحكمة والرحمة الالهية وان حكمته منزهة عن العبثية واللغوية عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : قال الله عز وجل : (..إن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفاقة، ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة ، ولو أمرضته لأفسده ذلك..).(١) [١٥٤]

و عنه (صلى الله عليه وآله): ألا ! لا تعادوا نعم الله قيل : يا رسول الله ! ومن الذي يعادي نعم الله ؟ قال: الذين يحسدون الناس.(٢)

اذن: ان رجاء العبد وأمله ورغبته يجب تكون منصبة بما عند ربه سبحانه فهو المفضل والمكرم بالخيرات وفي نفس الوقت يكون زاوياً نظره وعينه بما عند الاخرين من النعم حتى لا يقع بمرض الحسد، عن الإمام الصادق (عليه السلام): بينما موسى بن عمران يناجي ربه ويكلمه إذ رأى رجلا تحت ظل عرش الله فقال: يا رب من هذا الذي قد أظله عرشك ؟ فقال: يا موسى هذا ممن لم يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.(٣)

وهذا المرض يكشف بوضوح ان الحاسد مبتلى بسوء الظن بربه وانه غير راض وقانع بما اعُطي من الرزق وانه ساخط لأمر الله في عباده فعن

---

(١)مسند الامام الرضا ص ١٢٢
(٢)ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢٩٤
(٣)ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢٩٥

رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله عز وجل لموسى بن عمران: يا بن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ،ولا تمدن عينيك إلى ذلك ، ولا تتبعه نفسك ، فإن الحاسد ساخط لنعمي ، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي.(١) [١٥٥]

الحسود لا راحة له

ان جسم الانسان اذا أُصيب بمرض ما فلا شك بان له مضاعفات كثيرة على صحة وسلامة البدن فضلا عن الامور العرضية التي تنال المريض كالآلام وفقدان الشهية وصعوبة النوم وكذا الحال بالنسبة لمرض الحسد فانه يرهق كاهل الحاسد ويسلب الراحة والهدوء من خلده فجذوة التمني في زوال تلكم النعم مستعرة لا تبرد ولا يخفق لهيبها فهو دائما في عناء ونصب فعينه ترصد الصادرة والواردة لدى غيره من النعم فيرميها بسهام الحسد عن علي (عليه السلام): لا راحة لحسود. (٢) وعنه (عليه السلام): لا يطمعن... الحسود في راحة القلب.(٣) وعنه (عليه السلام):ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد، نفس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم.(٤)

ثم ان الحسد احد حبائل ابليس الملعون يصطاد من تلوث بعالم الطبيعة وتخّدر بها فيصبح صيدا سهلا وممكناً فعن الصادق عليه السّلام: ان إبليس يقول لجنوده ألقوا بينهم الحسد والبغي فإنّهما يعدلان عن الله تعالى الشرك.(٥)

---

(١)نفس المصدر السابق
(٢)غرر الحكم ص ٢٠٧
(٣)ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢٩٥
(٤)نفس المصدر ص ٢٦٨
(٥)نفس المصدر

وقلنا في بحوث سابقة ان هناك سننا الهية لا تقبل التبّدل ومن تلك السنن هو مجازاة الباغي والمعتدي بفعله وظلمه قال تعالى (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ).(١)

فيما يخص موضوعنا وهو المرض الحسد فان وقوع الضرر في المحسود في محق نعمته فلا ريب ان الحاسد يتحمل تبعات كثيرة دنيوية وأخروية ومن تلك التبعات هو أكل لحسناته وإيمانه ومحق لدينه فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) : ألا ! إنه قد دب إليكم داء الامم من قبلكم وهو الحسد، ليس بحالق الشعر، لكنه حالق الدين.(٢).[١٥٦]

وعنه (صلى اللّه عليه وآله): إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. (٣) وعن الإمام الباقر (عليه السلام): وإن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب.(٤)

ان الحسنات هي ثمرة جهد مضني قد بذل العبد ازائها الطاقة الجسدية والمالية فضلا عن بذل عمره الثمين حتى نال تلكم الحسنات وهذه الحسنات هي زاد العبد وذخيرته يوم ميعاده وان التفريط بها هو تفريط بحياته الابدية التي اليها مآله.

فهل يوجد عاقل يجلّ عقله ان يزهد باخرته بمحق دينه ويتعّرض لسخط اللّه ومقته حتى يشعر المرء بالنشوة والراحة ويطفئ غليله بحسد الاخرين؟

---

(١)الانعام اية ١٤٦
(٢)بحار الانوار ج ٧٠ص ٢٥٣
(٣)ميزان الحكمة ج ١ص ٦٣٠
(٤)الكافي ج ٢ص ٣٠٦

ومن العجيب لهذا الداء الخطير ان الحاسد يعد زوال النعمة عمّن حسده من الظفر والتوفيق والنعمة نازلة عليه عن علي (عليه السلام): الحاسد يرى أن زوال النعمة عمن يحسده نعمة عليه.(١[157])

ولكن الحق خلاف ذلك فان الحاسد بهلاك نفسه بدأ !! لأنه فتح على نفسه العذاب والعقاب فعن علي (عليه السلام): للّه در الحسد ما أعدله ! بدأ بصاحبه فقتله.(٢)

(١)نفس المصدر ص ٢٩٢
(٢)نفس المصدر ص ٢٩٢

- المبحث الثاني والعشرون: داء البخل
- المطلب الأول: للأخلاق صور باطنية
- المطلب الثاني: حرمان النفس من الاجر
- المطلب الثالث: البخل بعنوانه العام
- المطلب الرابع: البخيل مذموم

البخل

البخل : هو الامساك عن البذل والإنفاق وهو اعم من الانفاق العيني فعن امير المؤمنين عليه السلام (ما عقد إيمانه من بخل بإحسانه).(١)

فالبخل بالإحسان يشمل الباخل بماله وعلمه وجاهه ومكانته وغيرُ ذلك كما سيأتي تباعا ان شاء الله تعالى.

والبخل من الامراض القلبية ومن اقبحها خُلقا وهذه العاهة تخالف روح الايمان وتدل على الانانية وحب الذات وعدم المبالاة بالفقراء والمساكين وذوي الحوائج وهذه الافة ايضا لا تتفق مع روح الاسلام الذي يدعو الى الترابط والتواصل والتعاون ويبغض وينبذ الطمع والأنانية وحب الذات عن الامام الرضا (عليه السلام): إياكم والبخل فإنها عاهة لا تكون في حر ولا مؤمن ، إنها خلاف الإيمان.(٢)

ان الاخلاق تتبع في سلوك الانسان المسلم حسب تفاعله وتعاطيه الايماني بعالم الغيب والانصياع والالتزام بتعاليم السماء ومعارفه الحقة واندماجه بأحكامه العظيمة .[١٥٨]

فعلى سبيل المثال قد يرد طالب حاجة الى فردين مسلمين أحدهما ينظر الى المسالة بعين البصيرة فيعد حاجة المحتاج من الارزاق ولطائف الالهية التي ساقها الله تعالى اليه وان التفريط بها هو تفريط برزقه وزاده الاخروي ، فما ان يطرق المحتاج بابه او يسمع عنها حتى يسارع في

---

(١) غرر الحكم
(٢) ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢٤٢

قضائها مبتهجا مسرورا لإيمانيه بعظيم ما سيق له فعن الامام علي عليه السلام :إن المسكين رسول الله فمن أعطاه فقد أعطى الله ومن منعه فقد منع الله سبحانه.(١) ١٥٩

وعن الامام الحسين بن علي (عليهما السلام) : اعلموا إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم ، فلا تملوا النعم فتتحول إلى غيركم.(٢)

اذن فعملية الاندماج بين العلم والإيمان بعالم الغيب اثمر بنتاج عظيم وهو المسارعة في العمل والسعي ، وانتهاز الفرص قبل فواتها .

اما الاخر فهو يتهرب وعذره حتى ابطيه كما يقال لدفع حاجة المحتاج .

وهذا التعاطي السلبي ينّم ان عملية الاندماج ضعيفة او كادت تكون معدومة مع علمه المسبق بالثواب العظيم ولكن قلبه لم يتفاعل ولم يندمج مع علمه ، ولذا نرى التفاوت الملحوظ بين الناس في العبادات والمعاملات بسبب تعاطيهم الإيماني بالغيب بالإيجاب او السلب واندماجهم الفعلي بتعاليم السماء .

وقد اثنى الله تعالى على الطائفة التي تؤمن بالغيب وتتفاعل معه تفاعلا ايجابياً قال تعالى (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ.(٣)

اذن: فالقلب ليتمرض ويتلوث ويتأثر من آفة البخل لضعف عملية الاندماج القلبي بعالم الغيب وانعقاده عليه.

---

(١) غرر الحكم ص٢٥٨

(٢) ميزان الحكمة ج ٢ ص ٢٤٢

(٣) البقرة اية ٤

وان أحد الأمراض الخطيرة التي ساهمت بشكل فعّال في تمرض القلب بداء البخل والحرص هو سوء الظن بالله تعالى، فلو كان قلب العبد معقوداً بحسن الظن بربه وانه تعالى سابغ النعم ، والرزاق ذو الكرم ، وان ما عند العبد من مواهب ونِعم انما هي بتخويل وتفويض منه قال تعالى (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ.(١) ١٦٠

وانه تعالى قد أمره بالإنفاق ووعده ان يردّها اليه اضعافًا كثيرة قال سبحانه (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً.(٢)

فان هذا المستوى من الانعقاد والاندماج المعرفي والقلبي يتكفلان بجعل الحصانة على القلب المؤمن بحيث تجعلانه لا يخشى الفقر والفاقة وتمنعانه من الحرص والبخل.

ولكن لو تمّرض القلب بداء سوء ظن بالله تعالى فهذا المستوى من الارتباط والاندماج السلبي يجعل الفرد بخيلا حريصا ومنكمشاً على ماله خشية الفقر وفيه وقع فعن الإمام علي (عليه السلام) : البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود) (٣) وعن الامام الصادق :(عليه السلام): حسب البخيل من بخله سوء الظن بربه ،من أيقن بالخلف جاد بالعطية) (٤) وعنه عليه السلام : الجبن و الحرص و البخل غرائز سوء يجمعها سوء الظن بالله سبحانه.(٥)

(١)الانعام اية ٩٤
(٢)البقرة اية ٢٤٥
(٣)غرر الحكم ص ٢٠٠
(٤)نفس المصدر
(٥)الاختصاص ص ٤٧٣

المطلب الاول: للأخلاق صور باطنية

ان للأخلاق الصالحة والطالحة صورا باطنية تخفى صورها عن عالمنا الامكاني وان لحقائقها الباطنية افعالا وآثاراً في الخارج فالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة تكشف عن طهارة القلب ونورانيته وبروز الاعمال الطالحة تكشف عن تلوث القلب وظلمانيته وان الاخلاق والملكات السيئة التي تصدر من الفرد والتي تخالف تعاليم السماء والفطرة السليمة وللإنسانية الانسان فهي تساوق وتشابه الحيوانية من حيث الافعال وان كانت تخالفها من حيث الهيئات والصور لذا يقول امير المؤمنين عليه السلام : (فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَٱلْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ.(١) ١٦١

وهذه الحقائق سوف تتجلى وتترآى للإنسان يوم القيامة على صورها الباطنية الواقعية.

ومن الملفت والعجيب ان هذه الصفات الذميمة والمتغلغلة في بواطن الانسان والتي نرى من آثارها السيئة في الخارج ولو تراءت للناظر على حقيقتها لوّلى منها فرارا ولملء منها رُعبا.

فما يخص بحثنا وهو البخل يلفت انظارنا امير المؤمنين عليه السلام الى قضية مهمة وهي ان البخل له صورة مشّوهة باطنية ولو رآها شخص لأعرض عنها وانصرف عنها كل قلب يقول سلام الله عليه: لو رأيتم البخل رجلا لرأيتموه شخصا مشوها.(٢) وقال عليه السلام : لو رأيتم البخل رجلا لرأيتموه مشّوها يغض عنه كل بصر و ينصرف عنه كل قلب .(٣)

---

(١)غرر الحكم ص ٢٠٠
(٢)غرر الحكم ج١ ص ٦٦
(٣)نفس المصدر

المطلب الثاني: حرمان النفس من الاجر

ان عليل القلب بداء البخل يتوسل بكل وسيلة وحيلة ولو كانت محرمة وتنفر منها الطبائع الانسانية لكي يحفظ ماله من الهدر والتلف كما يظن !! ويتحجج بالمعاذير الكاذبة والحجج الواهية لصرف الاخرين عنه ودفعهم عن بابه وكذا يتعلل بالأعذار المصطنعة فرارا من دفع ما لزم عليه من حقوق الشرعية.

وقد يفلح في ما يرمي اليه وينجح ما يصبو اليه في حفظ ماله من التلف والضياع كما يظن ويعد هذا انتصارا وفتحا مبينا في رأيه ونجاحا باهرا في صيانة ماله ولكن هذه العقيدة المريضة المتغلغلة في صميم قلب البخيل كم سلبت منه التوفيق وحرمته من مفاتيح الرحمة ؟ فالمال خير وسيلة وسبيل لنيل الكرامة عند الله تعالى وخير طريق لاكتساب الثواب العظيم ، فيا بؤسا حينما يسد المرء على نفسه سحائب الرحمة ومفاتيح النعمة من اجل نعيم زائل وعيش تالف وان الله سبحانه غني بالذات ، وإنما أمرَ عبده بالإنفاق لجر المنفعة له ولذوي المسكنة، وإمساك المال عن صرفها على ذوي الحوائج انما هو بخل على النفس لقطع سبل الخير والثواب قال تعالى (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ.(١) [١٦٢]

ثم ان الايمان الذي ينعقد في قلوب المؤمنين قابل لزيادة والنقصان والتثبيت والزوال، فالترّفع عن الدنيا وملذاتها يزيد الايمان ويثبته في القلب و الإخلاد الى الارض ونسيان الاخرة ينقصه وربما يزيله من القلب

---

(١) محمد * ص * اية ٣٨

فعن الامام الصادق عليه السلام انه قال : إن اللّه جبل النبيين على نبوتهم فلا يرتدون أبدا ، وجبل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدون أبدا ، وجبل بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدون أبدا ، ومنهم من اعير الإيمان عارية ، فإذا هو دعا وألح في الدعاء مات على الإيمان.(١) ١٦٣

وان من اهم العوامل الناجعة لتثبيت الايمان في القلب هو الانفاق في سبيل اللّه قال تعالى (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).(٢)

وان التصّدق بالمال تطّهر النفوس وتزّكيها من الآفات والأمراض القلبية كالأنانية والبخل والكبر قال سبحانه (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ). (٣)

وان الصدقة تيّسر لليسر وتسدد رمية المؤمن لكل خير لتجارة مع اللّه تعالى قال تعالى (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) (٤) اما البخيل الذي سعى في تكنيز ماله خشية الفقر وطلبا للغنى سيجد العقبات تلو العقبات والعسر بعد العسر لمنع ماله ان يطال الفقراء والمساكين وقضاء حاجة المحتاج قال سبحانه (وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى).(٥)

---

(١)ميزان الحكمة ج ١ ص ٢٠٦
(٢)البقرة اية ٢٦٥
(٣)التوبة اية ١٠٣
(٤)الشرح اية ٥
(٥) الشرح اية ٨

اذن: فالبخيل حجب عن نفسه الخير الكثير لعلة انانيته وحبه لذاته فيعيش عيشة الفقراء ويحاسب محاسبة الاغنياء ناهيك عن اكتسابه السمعة السيئة بين الناس كما اشار الى ذلك الامام علي عليه السلام بقوله (الباخل في الدنيا مذموم وفي الآخرة معذب ملوم).(١) ١٦٤

المطلب الثالث: البخل بعنوانه العام

المتبادر في اذهان البعض ان لفظة البخل حينما تُسمع يُفهم منها ان البخل مقتصر مورده بالمال دون سواه ولكن ان لهذه اللفظة معنى واسع فلرّبما شخص لا يملك مالا ويعد من الفقراء والمساكين ولكن يُسمى بخيلا في معنى وعنوان اخر وهناك مصاديق كثيرة لهذا العنوان فمثلا ان زكاة العلم نشره وتعليمه لأهله ولكن قد يتخاذل شخص عن وظيفته الشرعية والأخلاقية المفروضة عليه ويبخل عن نشره لا لعلة سوى ابتغاء انحصار ذلك العلم فيه دون سواه او لسبب اخره لا يعذر فيه امام اللّه تعالى فيصدق عليه عنوان البخيل لذا نلاحظ ان رسول اللّه صلى اللّه عليه واله عمّم مفهوم البخل بقوله : (صلى اللّه عليه وآله): أبخل الناس من بخل بما افترض اللّه عليه.(٢)

وان نشر العلم امر مفترض على اهل العلم وورد النهي عن كتمانه عن اهله فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): من كتم علما مما ينفع اللّه به – في أمر الناس – أمر الدين، ألجمه اللّه يوم القيامة بلجام من النار.(٣)

---

(١)غرر الحكم ص ٢
(٢)مشكاة الانوار ص ١٧٧
(٣)ميزان الحكمة ج ٧ص ٧٢

ومن مصاديق البخل ايضا هو البخل بالسلام عن علي عليه السلام : بخل الناس من بخل بالسلام.(١) [١٦٥]

ومن مصاديق البخل قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): البخيل حقا من ذكرت عنده فلم يصل علي . وسائل الشيعة ج ٧ ص ٢٠٢ .

وكذا البخيل من بخل بوقته فلم يسعَ في قضاء حوائج الناس او لأي عمل فيه بر وخير وصلاح وكذا يشمل معنى البخل ذوي الوجاهة في المجتمع وذوي المكانة في الحكومة في حال التقصير وباختصار ان على الفرد المؤمن ان يجود ويعطي بكل ما تفرض عليه المسؤولية الشرعية والأخلاقية والإنسانية وينأى بنفسه عن كل فعل يوقعه في رذيلة البخل.

المطلب الرابع : البخيل مذموم

ان الانسان بفطرته وطبعه ينأى بنفسه عن أي مورد تكون نفسه عرضة للمهانة والذم من قِبِل الناس ، والمهانة والمذلة من النواقص والإنسان مفطور على حب الكمال وينفر عن النواقص والانحطاط .

ولكن حينما يتخلق بمساوئ الاخلاق فقد عرّض فطرته السليمة وقلبه النقي الى التلوث بشتى الامراض القلبية المخالفة لفطرته، وعرّض نفسه الكريمة الى الصغار عند الناس.

والبخل هو أحد الاسباب الذي يتسبب في تعريض مكانة وسمعة الانسان الى الذم والمهانة والذلة عند اللّه تعالى وعند الناس وناهيك عن العقاب الاخروي.

---

(١) غرر الحكم ص ٢٠٢

فمن كلام امير المؤمنين عليه السلام في بيان خصائص البخيل يقول : البخيل أبدا ذليل) (١) وقال سلام الله عليه : البخيل ذليل بين أعزته.(٢) وقال : البخل يكسب العار ويدخل النار (٣).[١٦٦]

اذن: فان هذا المرض الخبيث يكشف عن صورة سلبية وذميمة لدى البخيل من الانانية وحب الذات وعدم المبالاة بالغير وضعف الايمان والانطوائية هربا من اعانة الغير .فبعد الوقوف على هذه المساوئ والعيوب والنتائج الخطيرة فعلى المؤمن اللبيب مغالبة هواه بالسير وفق الفطرة النقية والالتزام بتعاليم الاسلام الحنيف ولا يدع لنفسه لان تكون مطية لوسواس الشيطان اللعين يقول تعالى محذرا من اتباع الشيطان قال تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.(٤)

انما الفقر الذي يجب اخذ الحذر منه وخوف الوقوع فيه هو الفقر من قلّة الزاد ليوم المعاد من الاعمال الصالحة ليدفع عن نفسه اهوال يوم القيامة وعقباته قال تعالى (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ)(٥) . وقال تعالى (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ.(٦)

(١)غرر الحكم ص ٢٠١
(٢)نفس المصدر
(٣)نفس المصدر
(٤)البقرة اية٢٨
(٥)البلد اية ١١
(٦)البقرة اية 107

ذلك اليوم هو يوم عروض الكنوز والذخائر ولكنها كنوز الاعمال الصالحة والملكات الفاضلة، فشتان بين شخص يكنز الاموال لدنياه وشخص يكنز الاعمال الصالحة لأخرته.[١٦٧]

ومن كلام النبي صلى اللّه عليه واله مع اصحابه قال: .. ما الصعلوك فيكم ؟ قالوا : الرجل الذي لا مال له ، فقال : بل الصعلوك حق الصعلوك من لم يقدم من ماله شيئا يحتسبه عند اللّه وإن كان كثيرا من بعده.(١)

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) للحسين بن عثمان: أتدري ما الصعلوك المختال ؟ قال الحسين بن عثمان : فقلنا : القليل المال ؟ قال : لا ، هو الذي لا يتقرب إلى اللّه عز وجل بشيء.(٢)

والحمد للّه رب العالمين وصلى اللّه محمد واله الطيبين الطاهرين .

(١)الحكمة ج ٨ ص ٩٨
(٢)نفس المصدر